

المجلة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر ونصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

.....
الإدارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون ٤٢٩٩٢

بدل الاشتراك

٣٠ عن سنة كاملة

٢٠ عن ستة شهور

٦٠ عن سنة في الخارج

١ ثمن العدد الواحد

.....

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد الرابع عشر « القاهرة في يوم الثلاثاء ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٥٢ — أول أغسطس سنة ١٩٣٣ » السنة الأولى

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون ٤٢٩٩٢

المجلة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر ونصفه

بدل الاشتراك

٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة في الخارج
١ ثمن العدد الواحد
....

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة

العدد الرابع عشر « القاهرة في يوم الثلاثاء ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٥٢ — أول أغسطس سنة ١٩٣٣ » السنة الأولى

شروح وحواشي

فهرس العدد

صفحة

ذكرى حافظ : عجبت لهذا البؤس العنيف الملح كيف لازم
حافظاً في عمره الأول ، ثم أبى أن يفارق ذكراه في عمره الثاني ١١
قطع هذا البؤس مع الشاعر مراحل عمره الفاني جميعاً ، فترك
حياته المضطربة من غير منارة ولا مرفأ ، وداره الموحشة من غير
ولد ولا زوج ، واسمه النابه من غير جاه ولا مجد ، وقلبه الشاعر من
غير عزاء ولا أمل ، ثم فرق بينهما الموت فانقلب حردان يعث بما
خلف الشاعر في الدنيا وفي الناس من أثر وذكري ، فتكر الحكومة
حافظاً لأن من أسماء البؤس السياسة ، وتهمل الخاصة حافظاً لأن من
أسماء البؤس التكران ، ويغفل الشعب حافظاً لأن من أسماء البؤس
النسيان ، وتثور الحفيظة من هذا الجحود بأصدقاء حافظ فيعتزمون إقامة
حفل وتأليف كتاب وتشديد ضريح ، ولكن البؤس المغيظ يطوف
على أولئك الاصدقاء في دورهم ، فيقول لا غنيائهم : امسكوا عن البذل ،
ولادبايمهم : امسكوا عن الكتابة ، فحسب كل امرئ ما تباكره
به الصروف كل يوم من هموم ومغارم ! ويذكر الشباب الذين طلما
هددهم الشاعر عواطفهم بأغانيه ، وخلد موافقهم بقوافيه ، أن يوم
الذكرى يقع في الحادى والعشرين من شهر يوليو . فيريدون أن يكفروا
اليوم عن تقصير الامس ، فيقرر (اتحاد الجامعة المصرية) إقامة حفلة
تأبينية ، ثم يلعن عن مكانها وزمانها في الصحف ، ويتقدم الى الأدباء
والوجهاء بالدعوة ، ويعد الاستاذ (البشرى) كلبته فيمن أعد ،

- ٢ شروح وحواشي : احمد حسن الزيات
- ٥ لغو الصيف : للدكتور طه حسين
- ٧ التجديد في الأدب : للأستاذ احمد أمين
- ١٠ عمر بن عبد العزيز : للأستاذ عبد الحميد العبادي
- ١٣ الثقافة المصرية : للأستاذ مصطفى عبد اللطيف المحامي
- ١٦ ذو القاس : للأستاذ سهير القلاوي
- ١٧ في الأدب المصرى القديم : للأستاذ حسن صبحي
- ١٩ نهضة الشعر العربي وموسم الشعر : للدكتور احمد زكي أبو شادي
- ٢٠ تجديد التقليد : لمحمد حصار
- ٢١ المبقرية : للأستاذ الحوماني
- ٢٣ بلاط الشهداء : للأستاذ محمد عبد الله عنان
- ٢٥ مداعبات شوقية
- ٢٥ نجوى : لشاعر الشباب السوري أنور العطار
- ٢٧ بحجرة الافق : لشفيق معلوف
- ٢٧ شاعرة : لمحمود غنيم
- ٢٨ عبد الحق حامد : للدكتور عبد الوهاب عزام
- ٣٠ ياليتني ! : لفخري أبو السعود
- ٣١ الزهرة المصدوعة : لسوللي برو دوم — ترجمة ابي قيس
- ٣١ حديث الطبيعة : للشاعر الطليعه وردن ورت — ترجمة فخري أبو السعود
- ٣٢ محمد : للشاعر الفيلسوف جيت — ترجمة الاستاذ الارناؤوط
- ٣٢ الحى داء ودواء : للدكتور احمد زكي
- ٣٥ كلتي (بلوتا) : للأديب حسين شوقي
- ٣٧ بلياس ومليز اند : للفيلسوف البلجيكي موريس ماترلنك — ترجمة حسن صادق
- ٤١ أدب جديد : للأستاذ محمد عبد الواحد خلاف
- ٤٢ أربعون يوماً من عام ١٩١٤ : ز . ن . م

كوبري الحديو اسماعيل: كذلك كتبت الحكومة بخط
الثلاث الجليل، على مدخل الجسر الجديد بقصر النيل، فهيات للعابر المفكر
موضوعا للتفكير يقطع به طول الجسر في راحة ولذة:
بماذا نغلق بقايا الألفاظ التركية في دواوين الحكومة المصرية،
ولم يعد لأمتنا بالترك صلة، ولا للغتنا بالدخيل حاجة؟

مندسنوات تخلص الترك من العرب- وقد كانوا خاضعين لسلطانهم
الأدنى - فأروا من الغضاضة على استقلالهم أن يظل لسانهم خاضعا
للساننا، وأدبهم تابعا لادبنا، فأخذوا يحرقون التركية من الألفاظ
العربية - وهى معظمها - ويستبدلون بها الفاظا تركية خاصة أو فرنجية
مشوبة، ثم ترجموا القرآن وترجموا الأذان. وأعجموا الصلاة، وفرضوا
التركية فرضا على الأجانب في المدارس والمصارف والأسواق.

ومندسنوات تخلص العراقيون من الترك - وقد كانوا خاضعين
لسلطانهم السياسى - فكان أول ما عملوه أن طهروا العربية من شوائب
التركية في الدواوين والقوانين والمدارس والجيش. واستبدلوا بهذه
الألفاظ الدخيلة على أصالتها وكثرتها الفاظا عربية صريحة.

ومنذ قرن ونيف تخلصت مصر من الترك، ولكنك ما تزال
تسمع في البيوت تيزه وآبله وأبيه وإنشته، وفي المدارس قلقة وطابور
ويمكخانه وبحيث جزيرة، وفي الدواوين الفاظا وأساليب ليس الى
حصرها من سيل، وأما في الجيش فأسماء رتبة وفقره وعتاده ومصطلحاته
ولإيعازاته كلها تركية، فبماذا نغلق هذا؟ تحليل ذلك فيما أظن أن
الامة المصرية من أشد الامم الشرقية احتفاظا بالقديم، وتسليما بالواقع،
ورضا بالحاضر، مع ما قد يكون في ذلك كله من شر، فليس من طبعها
ذلك القلق السامى الذى يدفع النفوس الى التجدد، ويحفز الامم الى
التقدم، ويربأ بالانسان ان يقنع من حياته بالنصيب الاخس،
وتقدم الامم على هذه الحال في سبيل السكال عسير أو بطيء.

رققا بالقوارير يا أبا السامى! نشرنا في عددنا الأخير رأيا
للائسة عفيفة في (أوراق الورد) للاستاذ الرفعى، ورأت الرسالة
مؤاتاة الفرصة ليمتع الاستاذ قراءها بفضل من فضوله الرائعة
فتركت له الكلمة، وتفضل الاستاذ فكتب. ولكنه حين وضع يده
على الدواة ليتناول القلم الذى كتب به (أوراق الورد) أخطأ فتناول
القلم الذى كتب به (على السفود). لحظنا هذا السهو حين قرأنا هذه
الكلمة فظويناها معقدين ان الكاتب الكبير سيتبعها كلمة أخرى تكون منها
مكان (بدل الغلط)، تشار كهافي الاعراب، وتفرد دونها بالصواب.

محمد حسن الزيات

ثم يقبل من ظاهر القاهرة الى نادى الاتحاد فلا يجد غير البواب
يتحدث الى نفر من زملائه، عن تعويض الحكومة للتويين وموعد
أدائه! فيعجب الاستاذ ويغضب، ويستمر عجبه وغضبه يوهين حتى
يقرأ في بعض الصحف ان اتحاد الجامعة قد رأى تأجيل الحفلة الى
الاسبوع الاول من نوفمبر لتكون حفلة جامعية يشترك فيها أساتذة
الجامعة وأقطاب الادب... وأعجب من عجب الاستاذ لا يخطر
هذا السبب الخفيف ببال الاتحاد، الا بعد إعلان الحفلة وتحديد الميعاد!!
بؤسا لك يا بؤس حافظ!! لقد أسرفت في العبث حتى اتهم
الوفاء، وتظن البعداء، وتردد على السنة الناس قول صاحبك:
فما أنت يا مصر دار الاديب وما أنت بالبلد الطيب
على ان حافظا وقد فرض على أدب العصر سلطانه، وأجرى على
لسان الدهر بيانه، وكتب في ثبت الخالدين اسمه - لا يضره بعد
ذلك نكران المنكر، ولا ينفعه عرفان العارف!

جاد الله بالرحمة ثراه، كلما تجددت في النفوس ذكراه، وجرى
بالخير (أولو) فقد كان عددها الخاص بالذكرى أخلص تحية
صعدت الى هذه النفس الكريمة، من هذه الدنيا اللثيمة!

تعليق على تعليق: روى صاحب التعليقات في (البلاغ)
أن أديبا مصريا علل شيوع الألفاظ (الجنسية) في أدب الدولة العباسية،
بأن العربى لكثرة ما خالط الأبل والخيول والحمير فقد طبعه الحياء،
فأصبح يقول ما يشاء، ويفعل ما يشاء! ولو صح هذا التعليل المضحك لكان
الأدب الأموى أمعنى في المجون، والأدب الجاهلى أدخل في الاباحية، لصلتهما
الوثيقة بحياة البداوة. وهما على التقيض من ذلك أعف الأدب العالمية،
وأكثرها استعمالا للأساليب الرمزية. ثم كان من رأى الاستاذ المعلق
ان السبب في ذلك إنما يتمس في طغيان الحضارة، لأن الكتاب الانجيز
مثلا لا يتحرجون اليوم ان يذكروا ما كان يتحرج منه بشار وأبونواس
بالأمس. والواقع ان خشن المجون في الأدب العربى لم ينبت في أصله ولم
يأته من أهله، فان شعراء المجون لم يكونوا بديا من العرب، وإنما كانوا
من الموالى الذين أساءوا خلق الأمراء بالعدوى. وفسدوا أدب الشعراء
بالقدوة، واكثر الاشعار المجونية إنما كان ينشد في المجالس الخاصة،
ويروى على الاسنة الخاصة، ويدون في الكتب الخاصة. فلو كان أولئك
الأدباء يكتبون للنشرو يؤلفون للجمهور كما نفعل اليوم لطوروا في نفوسهم
أكثر ما نشروا. ولا تجد اليوم أديبا من الأدباء الأوله مثل هذه
الاشياء، ولكنه يقصرها على خاصته فلا يعلنها في الناس ولا يدونها
في الكتب.

لغو الصيف

للدكتور طه حسين

في الضحك حتى استلقت الى كرسيا وهي تقول: انها لحاجة عسيرة، لست أدري كيف أقدر على ارضائها، وقد أذنت لك فيما كنت تريد وطرقت الباب وفاجأتني بغير اذن سابق مني بذلك، وفيم كان كل هذا المكر، وفيم كان كل هذا الاحتيال؟ ومتى استباح أمثالك أن يفجأوا أمثالي على هذا النحو، وفي مثل هذا الوقت من النهار؟ هنالك اشتد ارتباكك حتى بلغ الاضطراب أو كاد يبلغه، فلم يكن يقدر انها ستلقاه هذا اللقاء، ولا انها ستذكر هذه المفاجأة، ولعله كان يظن بل كان يوقن أن سرورها بلقائه سيكون أشد من حاجتها الى الاستطلاع، وسيكون أشد من انكارها لهذه الفجاءة، فلما رأى منها هذا الالحاح في السؤال والتشدد في التكبر، فقد ما كان يملك من الاسباب، واختلط عليه الأمر، فلم يدرك ماذا يصنع، ولم يعرف كيف يقول. ولو أنه كان على شيء من البصر بصاحبه والعلم بدخيلة نفسها لرأى أنه لم يكن مخطئاً حين قدر انها ستبهج بلقائه، ولكنه كان شديد الذكاء قوى الفطنة واسع الحيلة ما بعد عن النساء وعن صاحبه هذه خاصة، فاذا لقي واحدة منهن أو لقي صاحبه هذه فهو رجل ساذج أول الامر، لاحظ له من ذكاء ولا من فطنة، ولا قدرة له على ثبات أو فهم، حتى اذا اتصل الحديث وتنوع استرد ملكاته قليلا حتى يعود كدأبه في الحياة العادية، ذكي القلب قوى الفطنة متصرفا في الوان الحديث. فلما رأت ارتباكها واختلاط الأمر عليه واضطراب لسانه في فهمه دون أن يبلغ الافصاح عما كان يريد، رقت له واخرجته من حيرته باجابهته الى ما كان يريد، واعلانها اليه انها لن تلوم صاحبة الدار، ولن تظهر لها سخطا ولا انكارا. ثم قالت: والآب حدثني من أين أقبلت وكيف اراك هنا اليوم، وقد تركتكم في القاهرة منذ عشرة أيام؟ أنجمت من الارض أم زلت من السماء؟ قال ان عشرة أيام تكفي لقطع الأمد من القاهرة الى الاسكندرية ولعبور البحر الى مرسلها (وطولون) وبلوغ مدينة نيس، حيث تقيمين قبل ان تستأنفي السفر الى تلك المدينة الصغيرة الجامعية من مدن فرنسا الوسطى لتسمعي دروس الصيف. قالت فاني لأشك ان عشرة أيام تكفي لهذا كله ولا أكثر من هذا كله، ولكني تركتكم في القاهرة غضبان أسفا لانك ستقضي الصيف حيث لم تكن تعودت أن تقضيه، ولعلك تذكر انك كنت تحسدني وتسرف في الحسد على هذه الرحلة الجامعية التي كنت ازمعتها، ولعلك تذكر انك مازلت تصور لي حزنك وبأسك حتى رحلتك وأشفقت عليك، فكيف استطعت ان تفارق القاهرة وترحل عن مصر وتظفر بزيارة باريس؟ فأنت ذاهب الى باريس من غير شك، قال نعم انا ذاهب الى باريس، وماذا تكون فرنسا بدون

سمعت طرقا خفيفا رفعت رأسها وصوتها آذنه بالدخول، ومدت عنها الى الباب، فلما فتح لم يرعها الا صديقها الأديب، يسعى اليها مشرق الوجه، باسم الثغر، مبسوط اليد، مرتبكاً مع ذلك شديد الحياة. قالت وقد غشي وجهها احمرار رقيق زاده جمالا وحبا الى النفوس، مصدره الدهش لهذا المقدم غير المنتظر، أو مصدره زيمها المهمل وثوبها الذي لبسته لنفسها لالناس، ولم تكن تقدر ان الطارق أحد غير الخادم التي تعودت أن تطرق عليها الباب في رفق اذا كانت الساعة الخامسة من كل يوم لتحمل اليها الشاي، فلما رأت صديقها ارتاعت لمرآه، وقالت في دهش وخجل واضطراب: «أنت من أين أقبلت؟ أنجمت من الأرض أم هبطت من السماء؟» قال ولم يكن أقل منها ارتباكاً واضطراباً: نعم أنا أقبلت من حيث تريدن، ولكن لي اليك حاجة يا آنسة أعرضها عليك قبل التحية، وأتمنى لو تجيئيني اليها قبل السؤال والجواب، فسيكون السؤال طويلا دقيقا، وسيكون الجواب ملتويا مرتبكا، ولكن حاجتي يسيرة فاسمعها مني واقضها لي، ثم لنأخذ بعد ذلك فيما تحيين، قالت وقد اخذت ثوب الى نفسها والى ثوبها: من أين أقبلت؟ وكيف اراك في نيس وقد تركتكم في القاهرة على أنك ستقضي فيها الصيف؟ قال تقى يا آنسة اني قد سمعت سؤالك ووعيته ووعيت ما يحيط به من عجب وانكار، واني سأجيب وسأحاول أن أزيل هذا العجب وأحو هذا الانكار، ولكن حاجتي اسمعها واقضها قبل كل شيء. قالت لا قبل أن نجلس، ثم عادت الى كرسيا وقد حولته شيئا عن المائدة وأشارت اليه أن اتخذ هذا الكرسي، وأخذت تجمع صحفاً كانت منشورة على المائدة، ثم قالت مبتسمة: وما عسى أن تكون هذه الحاجة التي تقدمها بين يدي تحيتك، وقد بعد العهد بينك وبينى والتقيتا من وراء البحر، فقد تركتكم منذ أسبوعين، قال بل منذ عشرة أيام ان لم أخطيء الاحصاء، فقد ذكرت زرتك قبيل السفر... فقطعت عليه الحديث قائلة نعم، قد ذكرت فهاات حاجتك فاني لم أعود أن انتظر تحيتك وعبك كل هذا الوقت الطويل؛ قال حاجتي يسيرة وهي ألا تلومي ربة الدار، فقد مكرت بها واحتلت عليها، وما زلت أخدمها عنك وعني حتى تركتني أطرق الباب وأدخل عليك في غير استئذان سابق. فأغرقت

باريس وبدون الحى اللاتينى ومونبارناس ومونمارتر ؟ وقد زعموا ان الحركة الأدبية والفنية قد اخذت تنتقل الآن من مونبارناس الى . . . قالت حسبك قد علمت هذا كله وعرفت رأيك فيه ، وسنعود اليه ، ولكن كيف تركت القاهرة ؟ وكيف أتيت الى فرنسا ؟ قال وأى شئ أيسر من ذلك يا نسة ؟ انما يستغرب هذا من رجل كانت تمسكه الازمة فى مصر ويعجزه أجر السفينة ، أو نفقات الإقامة فى فرنسا ، فهذا الرجل اذا أتيح له السفر بعد امتناعه عليه يمكن ان يسأل انى لك هذا فى مثل هذه الأيام الشداد ، فاما اذا كان الذى يحول بين الرجل وبين السفر أرادة وزير من الوزراء ، أو عناد رئيس من الرؤساء ، فما ايسر ان يريد الوزير وقد كان لا يريد ، وما أسهل ان يلين الرئيس وقد كان متأبياً عنيدا ، وهذه قصتي فإزالت برئيسى حتى رقى لى ، وما زلت بوزيرى حتى عطف على ، قالت صنع الله للرئيس وللوزير معا ، فلو لا ظرف احدهما وعطف الآخر لما أتيح لك ان ترى باريس . قال بل لما أتيح لى ان أسعد بلقائك فى نيس ، وان أسعد باصطحابك ساعة أو ساعات على ساحل البحر ، هذا الساحل الجميل الهادى القوى معا ، حيث نستطيع ان نرى البحر والجبل وقد دنا كلاهما من صاحبه فى مودة وألفة ، وحيث نستطيع ان نرى الطبيعة الحرة القوية والحضارة البديعة المترفة وهذه القصور الشاهقة تشرف على البحر وتشرف عليها الجبال ، وحيث نستطيع ان نشهد قصيدة بودلير ، هذه القصيدة الرائعة التى كنت تغنيها فى القاهرة أجمل غناء ، أتذكرين ؟

لقد عشت دهرا طويلا تحت أروقة واسعة تضئها شمس البحر ، قالت نعم كل هذا اذكره ، وكل هذا أفهمه ، وكل هذا لا تفسر له الا انك قد رجعت الى صوابك واسترددت قواك موفورة واستأنفت ما تب من العبث والمزاح . فقد آمنت انك سعيد بلقائى . وقد آمنت انك ستسعد ، وسأسعد معك بقضاء ساعة أو ساعات على هذا الساحل الجميل . وقد آمنت بأن رئيسك خليق بالشكر لأنه رقى لك بعد ان قسا عليك ، وان وزيرك حرى بالثناء لأنه لطف بك بعد ان كان شديدا عنيئا ، ولكنى ان أتحدث اليك الآن ولن اسمع منك الحديث عن الجبل والبحر ، ولا عن الصخور والقصور ، فقد يتاح لنا الحديث عن هذا كله بعد حين . انما أحب ان اسمع منك أنباء مصر ، قال أنهما لخليقان بالسكروثناء حقا ، ولا سيما حين تعلين . . . قالت لا اريد ان أعلم شيئا . قال وهو يضحك ضحكا ملؤه المكر والاحاح : بل يجب ان تعلين لتضاعفى الشكر وتجزئى الثناء ، فانى لم ارحل للسياحة ولا للراحة ولا للرؤية بباريس ، وأما رحلت . . . قالت لا من أمور الدولة فستدرس شأننا من شؤون التعليم أو فنا من فنون النظام ،

أو لونا من ألوان الادارة ، أو شيئا من هذه الأشياء التى يرحل الموظفون لدرسها فى اوروبا أثناء الصيف ، فيسرحون ويمرحون ويلهون ويلعبون ويكتبون فى آخر الصيف تقريرا يرفعونه الى الرئيس أو الوزير ، فيتلقى الوزير أو الرئيس هذا التقرير ويتلقى صاحبه كلمة شكر وثناء ، وقد فهم الرئيس عن صاحب التقرير ، وفهم صاحب التقرير عن الرئيس ما يريد كل منهما ان يفهم عن صاحبه ، وأؤكد لك انى أضعاف شكرى لصاحبيك وثنائى عليهما ؛ ولكن أرخنى من حديثهما كما ارحتنى من حديث البحر والجبل والساحل وعدنى الى مصر ، قال ما أشد شوقك الى مصر وتلفك الى الحديث عنها ! ألم تشبى من مصر وقد أقمت فيها سنة كاملة منذ رحلتك الأخيرة ؟ أمشوقة انت الى مصر ولما يمض على فراقك لها الا عشرة أيام ؟ قالت فانى لا أريد ان تحاسبنى على ما وجد أو لا أجد من الشوق الى مصر ، وعلى ما احس أو لا احس من الضيق بمصر ، وأما أريد ان تحدثنى عنها ، كيف تركتها ؟ وكيف تركت أهلها ؟ ثم مست هذا الزر الكهربائى الذى لا تخاو منه غرفة من غرف الفنادق ، فما أسرع ما أقبلت الخادمة فهمت أن تطلب اليها الشاى ، ولكنه اعترض دون ذلك وقال : ماذا تريدن أجننا حتى نتناول الشاى فى غرفة مغلقة والجو صحو والماء صفو والشمس توشك ان نحدر الى مغربها فترسل على الجبل والبحر . . . قالت حسبك فانى أستطيع أن أتم ما تريد أن تقول . قال واذن فلم نتناول الشاى حيث نستطيع أن نستمتع بهذا الجمال الذى لا نجده فى مصر ، وكان حازما ملحا فلم تجد بدا من أن تسمع له وتستجيب لدعائه . فصرفت الخادم ونهضت فغابت عنه قليلا فى غرفة مجاورة متصلة بالغرفة التى كان فيها . ثم عادت اليه وقد اتخذت زيبا المنظم المنسق الذى عرفه فى القاهرة ، فلما رآها اطمأن الى هذا الزى الذى كان يألفه ، ولعله أسف على ذلك الزى المبهمل الذى كان أعجبه والذى كان قد أخذ يطمئن اليه . وماهى الا لحظات حتى كانا يسعيان معا فى هذه الطريق الجميلة على ساحل البحر تلك التى يسمونها فى نيس طريق الانجليز .

وكان طرفه حائرا بين البحر وهذه الفنادق الضخمة المشيدة ، وهؤلاء الرجال والنساء الذين كانوا يذهبون ويحيثون فى هذه الطريق وقد اتخذوا للرياضة والشاى زيتنهما . لكنها لم تتح له الاستمتاع بهذه الخيرة ، فما أسرع ما ردت الى مصر وحديثها ، وعادت تسأله عن المصريين كيف تركهم . قال ولم يخف شيئا من الضجر الباسم العايب . تركتهم من خمسة أيام كما تركتهم انت منذ عشرة أيام ، وكما سيتركهم كل مسافر ويلقاهم كل عائد ، وكما يترك كل

التجديد في الأدب

للاستاذ أحمد أمين

٤

الشعر

من قديم حاول الأدباء والنقاد أن يضعوا تعريفاً للشعر فاختلقت تعاريفهم لاختلاف أنظارهم ، ولأن كلمة الشعر استعملت في معانٍ مختلفة ، فكان كل أديب يعرفه حسب نظره ، وحسب المعنى الذي يرمى إليه ، وكان سواء في ذلك أدباء العرب والفرنجة

ذلك أن الشعر - على العموم - يتكون من عنصرين أساسيين وهما الوزن والقافية أولاً ، وإثارة المشاعر ثانياً ، فإذا فقد الكلام عنصراً من هذين العنصرين لم يصح أن يسمى شعراً ، غير أن بعض العلماء طغى عليه النظر إلى عنصر الوزن فعرّفه تعريفاً أفقده روحه ، فقالوا أن «الشعر هو الكلام الموزون المقفى» ومثله قول بعض الفرنج «أى كلام موزون يسمى شعراً سواء أكان جيداً أم رديئاً» وعلى هذا التعريف فالقافية ابن مالك شعر ، وقواعد الحساب المنظومة شعر ، والمتون الفقهية المنظومة شعر - كما أن بعض العلماء طغى عليه النظر إلى روح الشعر ومعناه فعرّفوه تعريفاً أفقده موسيقاه ، كالذى قال بعضهم «الشعر فيضان من شعور قوى نبع من عواطف تجمعت في هدوء» ومثله قول رسكن: «الشعر إبراز العواطف النبيلة من طريق الخيال» وهو تعريف يصح أن يكون للأدب كله نثره وشعره بل للفن جميعه من أدب ونحت وتصوير وموسيقى

وابن خلدون نقد التعريف بأنه الكلام الموزون المقفى وقال أنه إن صح تعريفاً عند العرويين لا يصح عند البلاغيين ، ثم اختار أن يعرفه «بأنه الكلام البليغ المبني على الاستعارة والوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي ، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله ، الجارى على أساليب مخصوصة ، وعيب هذا التعريف أنه عمل وأنه لم يلتفت إلى مزية الشعر وروحه وهو إثارة المشاعر ، واستقلال كل جزء منه في غرضه

ومقصده ليس من العناصر الأساسية التي يصح أن تدخل في التعريف فلو قلنا أن الشعر هو الكلام الموزون المقفى المنبعث عن عاطفة والمثير لعاطفة كان تعريفاً أقرب إلى الصواب فأذا وجدت نوعاً من الأدب يجمع الوزن والاتصال بالمشاعر فسمه شعراً والا فلا

والشعر يثير المشاعر بما فيه من خصائص - فأولاً - بأوزانه وقوافيه ، ولذلك كان المعنى الواحد إذا قيل مرة شعراً ومرة نثراً كان في الشعر أقوى أثراً - وثانياً - بلغته ، فللشعر لغة غير لغة النثر ، ولسنا نعنى بلغة الشعر الكلمات الغريبة أو أنواع البديع أو نحو ذلك ، فقد يكون الشعر في منتهى الرقى وكلماته في منتهى السهولة ، وهو كذلك خلو من كل أنواع البديع ، إنما الذي نعينه أن للشاعر ملكة لا يمكن أن نوضحها تمام الوضوح ، بها يستطيع أن يتخير من ألفاظ اللغة ما يرى أنها أبعث للمشاعر . وهو كذلك يضعها في قوالب يتخيرها من القوالب العديدة والتراكيب اللغوية المختلفة ، وهذا هو ما يجعل الشاعر شاعراً فقد يكون عندنا شعور فياض كالشعور الذي عند الشاعر أو أغزر منه ولكن ليس لنا هذه القدرة على الإفصاح واختيار الألفاظ والقوالب والتراكيب - ومن ثم كان من المستحيل ترجمة الشعر إلى شعر ، لأن الترجمة لا ترينا للشاعر من قدرة فنية على اختيار الألفاظ والأساليب ، والذي نترجمه هو المعنى الذي حواه الشعر وما فيه من تصوير وخيال ، ويعد المترجم أميناً إذا هو استطاع أن أن ينقل هذا ، أما طريقة الأداء فلا يمكن ترجمتها ، نعم إن بعض الشعراء قد يقرأ القطعة من الشعر ويكون له قدرة فنية في صوغه شعراً مستمداً من وحي ما قرأ ، وقد يجرى مع الأول في واد واحد وتكون له عنوبة مالا لأول ، ولكن ليس هذا ترجمة على الإطلاق كذلك يثير الشاعر الشعور بما عنده من لطف النظر أو الإلهام أو اللقائنة أو ما شئت فسمه ، فللشاعر روح غامض طبع عليه لا يكتسب بتعلم . به ينظر إلى الأشياء نظراً خاصاً ، وبه يبعث الشعور عند السامع . ولعل هذا هو الذي جعل شعراء العرب يعتقدون أن لكل شاعر شيطاناً ينفث فيه الشعر . ولأمر ما خلط العرب فسموا النبي شاعراً أحياناً وكاهناً أحياناً (وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن قليلاً ما تدكرون)

وللشاعر نظر باطن للحياة يغوص فيها ويستخرج معانيها ويعرضها في شعره - ولأن الشعر هو معنى الحياة كان شعر كل عصر مرآة له . وقد يما قالوا : (الشعر ديوان العرب) والحق أنه ديوان الأمم تسجل فيه حياتها وأفكارها ومشاعرها . فالشاعر يعطينا صورة روحية حية أكثر مما يعطينا إياها التاريخ . والشعراء عادة في مقدمة قومهم شعوراً ، وشعرهم إيدان بالفلسفة وإرهاص لها ، فهم يلهمون الشيء إلهاماً غامضاً ، ثم يتضح ما ألهموا به على مر الأزمان ، وتأتى الفلسفة بعد فتشريح وتحلل وتدلل .

أما الوزن في الشعر فهو موسيقاه ، وله قيمة كبرى في الشعر حتى عُدَّ أهم فارق بينه وبين النثر ، والشعر يحلو بالموسيقى الجيدة ، ويضعف شأنه اذا ساءت موسيقاه . وارتباط الشعر بالموسيقى أشد من ارتباط الفنون الأخرى كالنقش والتصوير ، حتى كان الرومان يقولون : « ان الشعراء ليسوا إلا مغنين يترنمون بشعرهم ، ويغنون به لأنفسهم ولمن شاء أن يردده بعدهم » ومن أنواع الشبه بين الموسيقى والشعر ما لاحظته بعضهم من أن كلا منهما يتنوع أنواعاً متماثلة . فالصوت يختلف عن الصوت من نواح أربعة : (١) من ناحية الطول والقصر (٢) والغلظة والرقّة (٣) والارتفاع والانخفاض (٤) ومن ناحية مصدر الصوت كعود أو قانون . وهذه النواحي الأربعة يمكن أن نراعيها في الشعر ، فن النوع الأول اختلاف التفاعيل طويلاً وقصراً ، فالرجز أقصر في التفاعيل من الطويل وهكذا . ولهذا الاختلاف تأثير كبير في الأذن الموسيقية .

كذلك نرى في الشعر ما يتناسب مع الشدة والضعف ، والغلظة والرقّة . فالشعر قد يناسبه - أحياناً - حروف وكلمات ضخمة قوية ، وقد يناسبه حروف وكلمات لينّة رخوة ، كالذي قالوا في قوله :

ألا أيها النوام ويحكمو هبوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحب؟
فالشطر الأول قوى شديد والثاني رخو ناعم

وفي الشعر ما يناسبه الهدوء والدقة كشعر الغزل ، ومنه ما يناسبه الشدة والبطش ، ويناسبه أنشاده في قوة وجلبة كشعر الحماسة ونلاحظ في الموسيقى أن النغمة الواحدة اذا وقعت على

الكمنجة ثم وقعت بعينها على البيّانة كانت النغمتان مختلفتين تأثيراً ، وهذا يقابله في الشعر القافية ، فالقصيدة على قافية قد يكون لها أثر لا يكون إذا قيلت على قافية أخرى وهكذا

والشعر أقل تقدماً وأبطأ خطى من النثر ، سواء في ذلك اللغة العربية وغيرها من اللغات ، وسبب ذلك على ما يظهر أن الشعر لغة العواطف ، والنثر لغة العقل ، والمشاعر والعواطف قليلة التغير بطيئة الرقي ، وما حدث فيها من تغير فأكثره تغير في الشكل لا في الموضوع ، أما العقل فراق أبداً ، وثاب في الرقي ومظهر ذلك الرقي العلى الذى نحسه من سنة الى أخرى ،

ولأن الشعر تعبير شخصى وأعنى بذلك أن الشاعر يعرض علينا في شعره مشاعره ونظراته الى الحياة واحساسه بها ، أما النثر فعالمى انساني يعرض الشيء كما هو لا كما يرى ، تحس في الشعر دائماً بالشاعر يحدثك عن نفسه ، وتحس في النثر بعقل مخاطب عقلك ، وان شعرت بالنثر فمن وراء حجاب ، ومن أجل هذا خضع النثر للمنطق ولم يخضع له الشعر ، ترى في الشعر غالباً ما لا يرضاه المنطق ، وتناقضاً لا يقره المنطق ، وتحكما في الحكم لا يؤيده المنطق ، وتخبّطاً وهراء يغتفرها العقل في الشعر ولا يغتفرها في النثر - وهذه الظاهرة وهى سير النثر الى الامام في سرعة وقفز ، وسير الشعر في بطء وتمهل ، هى التى جعلتنا نتذوق الشعر العربى في العصر العباسى وما بعده أكثر مما نتذوق النثر في ذلك العصر ، لأن الصلة بين نثرنا والنثر القديم صلة ضعيفة قد خالفناها كل المخالفة ولم يبق منها الا أساس التركيب الذى تقتضيه طبيعة اللغة ، بل أن مسافة الخلف بين نثرنا والنثر من عشرين سنة بعيدة كل البعد ، وعلى العكس من ذلك الشعر ، فالفرق بين الشعر القديم والحديث قليل تافه ومع هذا - فالشعر يجب أن يخضع لسنة النشوء والارتقاء ، ويجب أن يتقدم ويجارى الزمان كما حدث في الشعر الغربى

يجب ان يتقدم الشعر في كل من عنصريه عنصر الوزن وعنصر المعنى ، ففي الوزن نرى ان العرب في الجاهلية صبت شعرها في ستة عشر بحراً ، وكان خضوعها لهذه البحور لا لأنها حصرت كل ما يمكن أن يكون ، ولكن ابتكروا أولاً بحراً أو بحرین ثم جاء الخلف فزادوا هذه البحور شيئاً فشيئاً لا يهدبهم في الابتكار الا الأذن الموسيقية : وهم لا عيب عليهم في ذلك

ولكن العيب عيب من أتى بعدهم فقد سوا هذه البحور ولم يشاءوا ان يخرجوا عنها قيد شعرة، وقد تحكم العلماء والادباء في اذواق الناس فابوا عليهم أن يقولوا في غيرها أو ان يشدوا ولو قليلا عنها. وهو تقديس في غير محله، لأن أوزان الشعر كما قلنا هي موسيقاه، وكما تطورت الموسيقى في العصور واخترعت نغمات وولدت من القديم نغمات جديدة، وكانت موسيقى العصر العباسي غير موسيقى العصر الاموي، وهما غير موسيقى الجاهلية، كان واجبا ان يغير الشعراء موسيقى الشعر ولا يقفوا عند الحد الذي رسمه الجاهليون، وعجيب أن نسمح في عصرنا للموسيقى الشرقية أن تطعم بالموسيقى الغربية ونهيء آلاتنا للتوقيع عليها بهذه النغمات الجديدة، ونهيء آذاننا للسماعها ثم لانفعل ذلك في الشعراء نعم أخذ بعض الناس يتحللون من قيود البحور والقوافي الجاهلية كما فعل الأندلسيون بالموشحات وما إليها، ولكن وقف من بعدهم على اختراعهم ولم يسيرا على سننهم في التقدم يجب أن يتحرر نوازع الشعراء من هذه القيود ويشعروا بما يحسون، ويوقعوا على النغمة التي يرتضون، وليس الحكم بيننا وبينهم هو البحور الستة عشر، ولكن الحكم هو الأذن الموسيقية، والأذن الموسيقية وحدها، وكما نرجع في كل فن الى الخبيرين نستفتيهم ونحكم اليهم، فكذلك في هذا الضرب يجب أن نحكم الى من رقت أذهنهم الموسيقية وأذواقهم الفنية، وليس في هذا ضير ما على ثروتنا القديمة في الشعر، فأنا باخترنا عنا بحورا وأوزانا نزيد في ثروتنا الى ثروتهم كما نزيد في موسيقانا الى موسيقاهم وفي علمنا الى علمهم.

أما من حيث الموضوع ومعاني الشعر فجمال القول فيه أوسع، وتقدير الشعراء فيه أبين، ولئن كانت كل أمة تعد الشعر ديوانها تسجل فيه نزاعاتها وآمالها وحياتها، فأني أخشى أن يكون الشعر العربي سجلا ناقصا لم يدون فيه الا وقائع قليلة من نزاعات كثيرة، وصفحات ضئيلة من حياة حافلة مركبة معقدة. لقد دون الشعر كثيرا من وقائع المديح والثناء والغزل والخمرات وما إليها وهذا حسن، وهو ضرب من الشعر لا بد منه، ولكن ليس هذا كل مشاعرنا ولا أكثرها - لقد مررت في هذا العام على تلاميذ مدارس ثانوية خارجين من لعب الكرة فسمعت

بعضهم يصيح «ياحني ديل العصفورة، ومدرستهاي المنصورة» فجرت من عيني دمعة على مانحن فيه من ضعة وانحطاط، وقلت أين الشعراء يضعون الأناشيد تجارى نفسية الطلبة، وترقى من مشاعرهم، وتزيد في روحهم حماسة وقوة، وتميز الطبقة المتعلبة من طبقة العامة وأمثالهم؟ وأتى كشافة العراق ينشدون الأناشيد المختلفة في المناسبات المختلفة، فلم يجد كشافة مصر ما يجيبونهم به ويساجلونهم فيه الا هراء من الكلام وسخفا من الغناء، ثم أين الشعراء يضعون أغاني للشعب وأغاني للمتعلين تناسب حياتهم وموقفهم الاجتماعي؟ نعم تنبسه بعض الشعراء لهذا ووضعوا أغاني أرقى مما وضع من قبلهم، ولكن أكثرها بكاء وحنين وذوبان، وهي من الأدب الذي سميت أدبا مائعا، والذي لا يصح لأمة ناهضة أن تقتصر عليه، بل أين شعراء الشرق الذين تغنوا بما حوته طبيعة بلادهم من جمال وأبداع فرقوا ذوق شعوبهم وأشعروهم بجمال الطبيعة، وغدوا عواطفهم وعودوهم تقدير الجمال والهيام به؟ لقد قصر شعراء العرب قدما وحديثا في هذا الباب، فلا نعثر منه في الأدب العربي الأعلى قليل، وهذا القليل لا يكفينا الآن ولا يسد رغباتنا، لان شعر الطبيعة قد رقى عند الأمم وأصبح مؤسسا على شيئين لا بد منهما، وهما علم بالطبيعة ومعرفة بقوانينها، وحب للطبيعة وهيام بها، ثم صياغة ذلك كله في قول ساحر جذاب.

وهذا الضرب من الشعر قطع فيه المحدثون من الغربيين شوطا بعيدا وسبقوا فيه من قبلهم بمراحل طويلة - وبعد هذا كله - أين الشعراء الاجتماعي العربي الذي يساير نزعات أمم الشرق ومطامعها وآمالها في الحياة؟ أن أمم الشرق تنزع الى الحرية وتأمل أن تتبوأ في العالم الأنساني المكان اللائق بها، وتشدضروا من الإصلاح الاجتماعي ترى الحاجة ماسة اليه، وكلها مجال فسيح للشعر يلهب حماسها ويقوى إيمانها ويهديها سبل الحياة. فأين الشعراء الذين وقفوا هذه المواقف وقادوها قيادة صالحة؟ ان عواطف الأمم الشرقية ساغبة تنتظر من يغذيها ولا تجده. الحق أن أدباء النثر قد أدوا رسالتهم خيرا بما أداها أدباء الشعر، وفي كسل من الفريقين تقصير.

عمر بن عبد العزيز

٦٢ - ١٠١ هـ

للاستاذ عبد الحميد العبادي

ود الحكماء من قديم لو أن ملوك الأرض كانوا فلاسفة ،
أو لو أن الفلاسفة كانوا ملوكا ؛ اذن لا فترت السياسة بالآخلاق
على أساس ثابت مطرد . وتعاونتا جميعا على النهوض بالمجتمع
الإنساني ، ولاستحالة عالمنا المضطرب جنة راضية ونعما مقيما .
وكثيرا ما كتب الحكماء في نظم عامة ابتدعتها أخيلتهم
وزعموها توفر على الناس في هذه الدنيا اللذة والسعادة ، وتنفي عنهم
الآلم والشقاوة : فعل ذلك أفلاطون في « الجمهورية » والفارابي
في « أهل المدينة الفاضلة » وتوماس مور في « أوطوبيا » كما فعله
كثير غير هؤلاء ممن ترسم آثار أفلاطون ونسج على منواله .

هذا الحلم الجميل تحقق أو كاد في التاريخ مرة واحدة على ما نعلم ،
وذلك على عهد الخليفة العربي المسلم عمر بن عبد العزيز ، فهو رجل
القت اليه المقادير بزمام أعظم دولة في الأرض في زمنه ، ومع ذلك
استطاع ان يقدر شهوته حتى كاد يميته ، وان يروض نفسه حتى
ردها الى الرضا بالقليل الأقل . ثم تجرد لأصلاح رعيته من طريق
العدل والرفق والرحمة ، فأذاقهم لذة الأمن واليسر والرضا . وفوق
هذا وذاك قد ترامت همته الى ما وراء قومه وبلاده ، فطمع أن يجمع
شعوب الأرض طرا في نظام واحد يقوم على مبادئ الأخوة
والعدالة والمساواة . وقد وفق ابن عبد العزيز في هذا المطمع البعيد
توفيقا حذا من مقداره باللائس ، ان عجلت اليه المنية وهو لا يزال
في ميعة العمر وعنفوان الحياة .

قد اجتمع في تكوين هذه الشخصية العجيبة عاملا الوراثة
والبيئة معا ، فأبوه عبد العزيز قد ولي مصر عشرين سنة دلت
على ثقافته العالية واضطلاع باعلاء الحكم ، وبصره بتألف القلوب ،
وجده مروان بن الحكم هو ذلك السياسي الجريء العارف
بنفسية الأفراد والجماعات ، والخبير بانهاز الفرص عند إمكانها .
وأما نسبه لأمه ، فأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ،

وكفى بانتسابه الى تلك الشخصية العظيمة تعريفا بسبب من أسباب
ورعه وجراته في الحق على نفسه وغيره .

وليس أثر البيئة في تكوين ابن عبد العزيز بأقل من أثر الوراثة ،
فقد ولد بالمدينة عام ٦٢ هـ وشب بها على أصح الروايات . فلما ولي
أبوه مصر عام ٦٥ هـ حل اليه ، ولبت بمصر زمنا ماء ، نعم فيه بصحة
أبيه ومشاهدة آثار الحضارة المصرية والبيزنطية ، وهنا رحته
دابة فشج شجته التي عرف من أجلها بأشج بني أمية ، فلما بلغ سن
التأديب بعث به أبوه الى المدينة ليتأدب بها وينشأ نشأة إسلامية
مدنية ، وكانت المدينة اذ ذاك بيئة مركبة غير بسيطة ، يعرف فيها من
يحلها الروح الدني الصحيح مائلا في نفر من بقايا الصحابة وكبار
التابعين ، أمثال أنس بن مالك وعبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب
وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، كما يعرف فيها الجانب
الأرثوذكسي من الحياة ممثلا في مثل عبد الله بن جعفر أول نصير لصناعة
الغناء العربي ، وطائفة من المغنين والقيان يتقدمها معبد ومالك بن أبي
السمح المغنيان المديان الشهيران . ثم ان المدينة كانت اذ ذاك
من الناحية السياسية موطن للمعارضة التي تستند الى الكتاب والسنة
في مقاومة الحكومة الأموية . في هذه البيئة تخرج ابن عبد العزيز ،
فروى الحديث عن حملته ورواته ، ولقف صناعة الغناء وأعانه على
المساهمة فيها صوت ندى عذب . كما أشرب روح الحكومة الإسلامية
القديمة التي كانت تختلف عن الحكومة الأموية اختلافا كبيرا . الى
ذلك كله كان ابن عبد العزيز فتى مليح الخلقة ناعما مترفا كعادة
فتيان بني أمية . يروى أنه أبطأ يوما عن الصلاة فسأله مؤدبه صالح
بن كيسان عن سبب أبطائه فقال : « كانت مرجلتى تسكن شعري »
فكتب مؤدبه بذلك الى أبيه ، فبعث أبوه رسولا فلم يكلمه حتى
حلق شعره .

في عام ٨٥ هـ توفي عبد العزيز بن مروان بمصر ، وكان
ابنه عمر قد تم تأدبه بالمدينة ، فاجتذبه الخليفة عبد الملك بن مروان
الى الشام وزوجه من ابنته فاطمة ، ثم ولده (خنصرة) وهي بليدة من
أعمال حلب واغلة في البادية . فلبث واليا عليها سنتين كاتما من أنعم
سنى حياته وحياة زوجه . وقد أعجبه خنصرة حتى أنه عندما استخلف
اتخذها منزلا على عادة ملوك بني أمية في أثارهم سكنى البادية على
الحاضرة . وفي عام ٨٧ هـ اختاره الخليفة الوليد بن عبد الملك لولاية
المدينة بدلا من هشام بن اسمعيل المخزومي الذي أساء السيرة في أهلها ،
ولاشك ان الوليد انما اختار عمر للمدينة لما يعلم من المشاكلة
القوية بينه وبين هذه الولاية ، ثم أنه بعد قليل ضم اليه مكة والطائف

فأصبح عمر بذلك أميرا على الحجاز كله .

كانت حكومة عمر بن عبد العزيز بالحجاز (٨٧ - ٩٣) حكومة شورية أبوية يمازجها من ناحيته الشخصية مقدار غير قليل من الحرص على الترف والنعم . فلا أول قدومه المدينة أصطفى عشرة من العلماء أتخذهم نصحاء ومستشارين يصدر في الأمور عن رأيهم ، ثم عكف على إصلاح شئون الحجاز فهدم المسجد النبوي وأعاد بناءه على نحو أوسع وأروع ، وأصلح الطرق ، وأكثر من الآبار ، فتيسر بذلك الماء في ذلك القطر الظمى ، كما أنه عمل بالمدينة فوارة يستقى منها أهلها . وقد أعجب الخليفة بتلك المنشآت عندما زار المدينة سنة ٨٩١ هـ وأمر للفوارة بقوام يقومون عليها ، وإن يسقى أهل المسجد منها ، ففعل عمر ذلك . ومن مظاهر بساطة عمر في أمارته بالحجاز أنه جلس مرة في المسجد يرتل القرآن بصوته العذب فتأذى بذلك سعيد ابن المسيب على غير علم منه بصاحب الصوت ، فلم ير عمر بأسا بأن ينتحى ناحية أخرى من المسجد . وبلغه أن قاضيه على المدينة استخفه الطرب عند ما سمع جارية تغنى حتى أخرجه من وقاره ، فعزله عمر ، ولكن القاضى المعزول تحدى الأمير لسماع الجارية ، فسمعها عمر وكاد هو أيضا يستخف ، فعذر القاضى وردده الى عمله . وعند ما قدم الفرزدق الشاعر المدينة وكانت السنة ممحلة وخاف أهل المدينة لسانه رفعوا أمرهم الى عمر فأخرجهم من المدينة ونهاه أن يعرض لأحد من أهلها بمدح أو بهجو . أما من حيث حياة عمر الشخصية في تلك الفترة فكان مترفا مسرفا في الترف ، يرخى شعره ويسبل أزاره ، ويلبس الثوب تبلغ قيمته مئات الدنانير ، ويكثر من الطيب حتى لتقصف ريحه اذا مشى مشيته « العمرية » وهى مشية كان يتبخر فيها ويختال ، ولملاحظها كانت الجوارى تأخذها عنه .

حادث واحد نغص على ابن عبد العزيز أمارته على الحجاز : ذلك مصرع خبيب بن عبد الله بن الزبير فقد نقم الخليفة الوليد من خبيب أشياء بلغته عنه وكتب الى عمر أن يضربه ، فضربه عمر ضربا كان فيه هلاكه . وقد جزع عمر لذلك جزعا شديدا ، ويقولون أنه لبس المدوح سبعين يوما حدادا على خبيب ، ثم أقطع عن ذلك . فلما استخلف دفع دية خبيب الى أوليائه ، ومع ذلك كان يرى أن الله لا بد مؤاخذه بذلك الذنب ، فكان اذا بشره أحدهم بالجنة قال : « وكيف بخبيب ! »

وغدا الحجاز ينعم بأمن وعافية مما أبتليت به الأمصار الأخرى ولا سيما العراق من الفتن والقتال ، ولذلك أخذت فلول ثوار العراق والخوارج تغد على الحجاز فرارا من وجه الحجاج وسيفه

المسلول ، فكان ابن عبد العزيز يحيرهم ويحميهم . ثم لم يكتف بذلك فكتب الى الخليفة يندد بعسف الحجاج وبطشه . فاضطغها الحجاج عليه وكتب الى الخليفة يشكو من أن أمير المدينة يحير « مراق » العراق وإن ذلك موهن له . وقد نظر الخليفة في الأمر مليا ، ثم رأى أن يشد أزر الحجاج في هذه الخصومة ، فالعراق أخطر من الحجاز ، والحجاج أولى بالمصانعة من عمر بن عبد العزيز . فصرف عمر عن الحجاز بأمرين أحدهما للمدينة والآخر لمكة . فكان أول ما صنع أن أخرج من الحجاز الى الحجاج كل عراقي في الجوامع والأغلل ، وتوعدا كل حجازى أنزل عراقيا أو أجره دارا .

خرج ابن عبد العزيز من الحجاز الى الشام مغاضبا للخليفة الوليد ، وقد ساءه أن عزل عن أمانة المدينة حتى قال لمولاه مزاحم وهو ببعض الطريق : « أخشى أن أكون ممن تنفيه المدينة » إشارة الى الحديث الوارد في أن المدينة تنفى خبيها . فلما حصل بالشام شغل نفسه بالغزو فرارا من وجه الوليد والتماس الأجر والسلوة . فلما توفي الوليد عام ٩٦ هـ وولى سليمان بن عبد الملك لزمه عمر ، وكان أثيرا عنده يستشير سليمان وينزل على رأيه في كثير من الأمور ، على أن عمر نفعه أن عزل عن الأمانة على النحو المتقدم فقد دفعه ذلك في السنوات الست التي قضاها بالشام قبل أن يستخلف (٩٣ - ٩٩) الى النظر في حال الدولة العربية في أواخر القرن الأول الهجرى

نظر فأذا الدولة الإسلامية قد أبعدت في التخلي عن الصفة الدينية التي كانت لها قديما ، وأسرفت في الاصطباغ بالصبغة الزمنية المتطرفة ، أليست حكومة عبد الملك والوليد والحجاج ويزيد بن المهلب حكومة تجبر وطغيان ؟ أليست حكومة سليمان حكومة الشهوة العطشى والجسد المنهوم ؟ لقد أصبح السلطان يعتمد في شد أركانه وتقوية دعائمه على القوة الغشوم والسيف المرهف . أما العدل ، وأما الرفق ، وأما الرحمة . فلم يعد لكل ذلك عنده محل ولا حساب . ونظر فأذا أموال الدولة قد عراها الخلل والاضطراب من كل نواحيها . فنحو ثلث أموال الدولة قد استحال ملكا خاصا لبني أمية ، وأكثر الضرائب يجبي من غير وجوهه ، ويصرف في غير مصارفه الشرعية . فكثير من الأراضي الخراجية التي لا يصح تملكها قد استحال أرضا عشرية يملكها أفراد من المسلمين يؤدون عنها الزكاة التي مقدارها أقل من مقدار الزكاة . وكثير من الموالى أو مسلمى الأعاجم لا يزالون مع أسلامهم يؤخذون بالجزية لغير ما سبب سوى أراعمال لحظوا في أسلامهم معنى الفرار من الجزية فأبوا أن يعفوا منها . هذا فوق أن هؤلاء الموالى لم يكونوا

عبد العزيز من جهة ؛ وفي مقدار تأثيره بالحياة الاسلامية العامة لذلك العهد من جهة أخرى . لقد كان في عمر نزوع طبعي الى الزهد ، فهو كما رأينا من سلالة عمر بن الخطاب ؛ وكان في طفولته يحاول التشبه بخاله الزاهد عبد الله بن عمر ، ولما تورط في أمر خبيب لبس المسوح سبعين يوماً يأسا من غضارة العيش ، ولذاذة الحياة ، فلما نصح بالاقلاع عن ذلك أفلح . ثم ان الحياة الاسلامية قد أملت بها في أواخر القرن الأول نزعة زهد جاءت كرد فعل للبادية التي طغت عليها اذ ذاك . هذه النزعة التي تحولت بعد الى الحركة الصوفية المشهورة تتيبنها في طبقة العباد والنسك التي يتكلم عنها صاحب العقد الفريد طويلاً . وقد خضع عمر لتأثير هذه الطبقة وهو في المدينة ، فكان من أشد الناس تأثيراً فيه عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة . فلما صار بالشام خضع لتأثير رجلين يعتبران بحق من أقطاب عصرهما علماً وزهداً وورعاً . هذان هما الحسن البصري ورجاء بن حيوة الكندي . أما الحسن فقد اتصل به عمر من طريق المراسلة ، ولعله قد اخذ عنه كراهية القول بالقدر الذي ينسب الى الحسن خطأ . وأما رجاء فقد كان مستشار سليمان بن عبد الملك ، وكان لذلك أقرب الى عمر وأقوى به اتصالاً .

وبعد فلتن كان النظر في الأحوال العامة قد انتج لعمر ضرورة الرجوع الى الدين في اصلاح غيره ؛ فقد انتج له مزاجه الخاص وتأثره بالزهد من أهل عصره ضرورة الزهد من اجل اصلاح النفس وتهذيبها . الدين والزهد ، هاتان هما الخلتان اللتان كانتا تعمران فؤاد عمر وقلبه عندما أخذ صلاحه الشام يرشحونه للخلافة . (يتبع)

شركة مصر لغزل ونسج القطن

تعلن شركة مصر لغزل ونسج القطن أنها أتمت تجهيز مبيضة ومصبغة بمصانعها بالمحلة الكبرى لتبييض وصباغة كافة أنواع الخيوط والأقمشة القطنية والكتانية ولتجهيزها تجهيزاً نهائياً

وهي على استعداد تام لتبييض وصباغة كل ما يطلب منها بأسعار غاية في الاعتدال ، ويسرها أن تجيب عن كل استعلام يطلب منها

والعرب سواء في الحقوق ، فكانوا يغزون الى جانب العرب دون ان يكون لهم عطاء . ثم ان عدم أنفاق الزكاة في مصارفها الشرعية قد أدى الى كثرة الفقراء والمساكين والمرضى والزمنى ممن جعل لهم الشرع حقاً في الصدقات العامة . ثم نظر فرأى بأس الأئمة الاسلامية بينها شديد ، قد توزعت الفرق المتباغضة والأحزاب المتناحرة ، فمن شيعة يطوون الصدور على الاحن لما نالهم به بنو أمية من أذى ومساءة ، ومن خوارج يتحينون الفرص لهدم النظام القائم وأحلال نظامهم محله ، ومن موال قدسأهم الا يسوى بينهم وبين العرب في الحقوق العامة ، ومن مضرية ويمينية وربعية ، كل يحاول ان يكون له النفوذ السياسي من طريق الولاية على الأقاليم والتأثير في السلطان نفسه . هذا في الداخل ، أما في الخارج فرأى عمر ان الجهاد الذي شرع على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لمنع العدوان على النفس والعقيدة ، والذي كان على عهد الشيخين ضرورة اقتصادية ملحة ، قد استحال في زمن الأمويين أداة للتوسع في السلطان ، وجر المغنم الوافر ، والسبي الرائع ، حتى قال الشاعر :

الا ذهب الغزو المقرب للغنى ومات الندى والجود بعد الملهب
نظر عمر في كل ذلك فردده الى سبب جوهرى واحد هو انحراف الجماعة الاسلامية عن الاساس الذي قامت عليه ، أساس الدين . والدين عند عمر هو الدين المتصل بالحياة العامة يمددها ويغذيها بقوته المعنوية ، والممسك لشئون الجماعة ان تضطرب وتصبح فوضى ، هو الدين الذي أثره في الحاكم شعور قوى بالمسئولية وعمل صادق على أسعاد العباد والترفيه عنهم ، والذي أثره في المحكومين اقتضاء للعدل اذا حرموه ؛ وأنفة من الضيم والذل اذا ما أريدوا عليهما ، الدين عند عمر بن عبد العزيز : هو الحق والانسانية عبر عنهما بلفظ واحد .

وبينا عمر يرسل الفكر في أنحاء الحياة الاسلامية العامة متعرفاً علماً اذا به في الوقت نفسه قد اخذ يخضع لتطور نفساني عنيف . لقد اخذ حرصه على الترف والتنعم يضعف رويداً رويداً ، وميله الى الزهد والتنسك يقوى شيئاً فشيئاً ، واصبحت نظراته الى الحياة نظرة الى متاع قليل زائل ، لا يعدل شيئاً بجانب طمأنينة النفس وراحة الضمير ، كما أصبح دائم التفكير في الموت وفيما بعد الموت ، فالموت آت لا ريب فيه ؛ والموت برزخ مؤد أما الى جنة وأما الى نار ، والمتنهي على كل حال رهين بما يكون عليه المرء في العدة الدنيا من ذلك البرزخ الرهيب .

ماسر هذا التطور العجيب الذي جعل من ابن عبد العزيز الناعم المترف ناسكاً زاهداً متصوفاً ؟ تبين ذلك السر في نفسية ابن

الثقافة المصرية

وكيف تستفيد من ثقافة الجاحظ

الأدبية والعلمية والسيكولوجية

للاستاذ مصطفى عبد اللطيف المحامى

دعونا فى مقال نشر بالسياسة الاسبوعية الى الرجوع الى الثقافة العربية بدوية كانت أم حضرية ، وأهنا بالمتقنين ثقافة عالية أن يصرفوا جهودهم الى بعث تلك الثقافة ، وتغذية ثقافتنا المصرية بمادة مفيدة صالحة ، وذكرنا فى ذلك المقال أسماء بعض زعماء الثقافة العربية . ومن بينهم أبو عثمان بن بحر الجاحظ أحد أعلام العصر العباسى ومن أكبر زعماء الفكر الإسلامى .

وهانحن أولاء نعود الى هذه الدعوة ، وتأيد تلك الفكرة ، بذكر شىء من ثقافة الجاحظ الواسعة ، تلك الثقافة التى يباهى بها العرب ويعجب لوفرتها الجيل الحاضر ، لأنها ثقافة تزيد فى الوفرة على ثقافة جوت الألمانى ، وديدرو الفرنسى ، ودستوفسكى الروسى ، وغيرهم من ذوى الثقافات الواسعة الرفيعة .

والحق أنى بعد أن تصفحت جهرة من مؤلفات الجاحظ وما كتب عنها ، لم أجد وصفا أصدق عليها من أنها كالبحر اللجب الزاخر ، تحوى الجوهر كما تحوى الصدف ، فأنت اذا تناولت تلك المؤلفات ألفت بحوثا شائعة فى الأدب ، وملاحظات قيمة فى العلم ، ومعلومات رائعة فى سيكولوجية الإنسان والحيوان ، وأفكارا كالأمواج متزاخرة متلاحمة تشرق عليها أنوار الثقافات الفارسية واليونانية والهندية .

هى ثقافة ثرة متعددة النواحي يتطلب تصويرها كتباً مفردة ، ولكنى سأحاول أن أتناول فى اختصار ثلاث شعب منها ، وهى ثقافة الجاحظ : الأدبية ، والعلمية ، والسيكولوجية . واكتفى برسم خطوط لتلك الثقافات تاركا أخراج صورة كاملة لها لمن هم أقدر منى عليها ، وغايى من المقال كما سبق أظهار روائع الثقافة العربية ، وبيان صلاحيتها لتغذية ثقافتنا المصرية ، أذ فيها خير مادة لنا وخير ثقافة .

ثقافة الجاحظ الادبية

ونحن اذا قلنا البصر فيما صدر عن الجاحظ من المؤلفات

الأدبية الفصيحة الكثيرة ، أدركنا قطعاً نفع تلك المؤلفات لثقافتنا ، وصلاحيتها لتغذية ألهاماتنا . ويحتاج بحث هذه المؤلفات الى كتاب مفصل . ولكنى سأقصر بحثى على وصف رسالة الجاحظ الموسومة « بالترييع والتدوير » وهذه الرسالة اعتقد أنها تكفى لرسم صورة تامة عن أدب الجاحظ وأسلوبه الرصين الموثق ، ومعانيه البليغة ، وميله الى خلط الجد بالهزل فى كتاباته . وهذه الرسالة مدبجة فى احمد بن عبد الوهاب من معاصرى الجاحظ ومن ذوى النفوذ والمقربين لدى الخلفاء ، وهى تمثل فى أوضح بيان جمال الرصف ، والقدرة على ملكية العبارة . ومن المستحسن أن أصف هذه الرسالة وآتى بفقر منها : ابتداء الجاحظ الرسالة بالقدح فى احمد والزراية بعقله ، وطرح عليه مائة سؤال منها الخفيف ومنها الثقيل ، ومنها الجدى ومنها المضحك ، حتى اذا ما آذاه وجرحه جرحاً يكاد يقطر دماً ، وأدرك فداحة ماصنع ، أسرع الى قلبه فمسحه من الدم ودهنه بالمرهم ليأسو الجرح ، ويدوى ما بضع سنان القلم ، فأخذ يقدم وجه العذر ، ويدى اليراع بالمغفرة ، ويزكى صفات احمد ويطنب فى مدحه ويسرف ، فها هو ذا يسم احمد فى مفتتح الرسالة بالادعاء وينعته بالجهل يقول . — « كان احمد بن عبد الوهاب مفرط القصر ، ويدعى أنه مفرط الطول ، وكان جعد الأطراف قصير الأصابع ، وهو يدعى السباطة والرشاقة ، وكان كبير السن متقدم الميلاد ، وهو يدعى أنه معتدل الشباب حديث الميلاد . وكان ادعاؤه لأصناف العلم على قدر جهله بها ، وتكلفه للإبانة عنها على قدر غباوته فيها وكان قليل السماع غمرا يعد أسماء الكتب ولا يفهم معانيها ، ويحسد العلماء من غير أن يتعلق فيهم بسبب » .

واستطرد يقول بعد كلام طويل فصيح : — « فلما طال اضطبارنا حتى بلغ المجهود منا ، وكدنا نعتاد مذهبه ونألف سبيله ، رأيت أن أكشف قناعه ، وأبدي صفحته للحاضر والبادى ، وسكان كل ثغر وكل مصر بأن أسأله عن مائة مسألة أهزأ به فيها وأعرف الناس مقدار جهله » .

وأخذ يلقي عليه الأسئلة فى خلال الرسالة ومنها قوله : — « خبرنى ما تقول فى الفراسة ؟ وما تقول فى أسرار الكف ؟ وما تقول فى النظر فى الأكثاف ! وخبرنى متى تستغنى الحية عن الغذاء ! ومتى ينتفع الضب بالنسيم ! وخبرنى ما السحر وما الطلسم وما الدنesh ! وما قولهم فى اللبان الذكر ! ؟ » .

وبعد أن سقاه سخرأ وأشبعه تهكاً وجعله ضحكة الضاحكين

والسخاء، وحب الوطن؛ ومدح فيه انفعال الغيرة وذمه في صفحات معدودة، وهذا الكتاب لا تظهر فيه شخصية الجاحظ الخلاقة لأن مادته منقولة عن الأعراب. وعلى العموم فقولفات الجاحظ الأدبية يحملتها تفق اللسان، وتقوى العارضة، وتمدنا بثروة واسعة من التعابير الجميلة، وتعطر أفتدتنا وتنعش صدورنا بمعانيها اللطيفة الفريدة. يقول المسعودي في هذا الصدد: «كتب الجاحظ تجلو صدأ الأذهان وتكشف واضح البرهان... ويقول ابن العميد: «كتب الجاحظ تعلم العقل أولاً، والأدب ثانياً...»

ثقافة الجاحظ العلمية

ويعني ابن العميد بهذا القول أن يقول أن كتب الجاحظ تعلم العلم أكثر من أنها تعلم الأدب، والواقع أن كتب الجاحظ الأدبية لا العلمية تتضمن ملاحظات بارعة، وأشارات دقيقة، ومعلومات قيمة، يمكن أن تبني عليها بحوث علمية رائعة. حدثني أحد المهتمين بالثقافة العربية أنه قرأ رسالة التفاح للجاحظ في مكتبة بألمانيا، فوجد بها ملاحظات وتجارب للجاحظ مدهشة منها أن الجاحظ كان يكتب بمادة كيميائية بعض الأسماء على التفاحة قبل نضجها. فقطهر الأسماء على التفاحة بعد النضج، وكأنها خلقت على هذه الصورة، وكأن الأسماء نقشت على التفاحة نقشاً طبيعياً، وذكر أن الجاحظ أبان في هذه الرسالة كيف تتلون التفاحة في الطبيعة: فالقمر يخلع عليها اللون الأصفر، والشمس تهبها اللون الأحمر. وهذه الحقائق لأعلم مبلغ صدقها. ولكن أثبتنا بقصد الأثارة للبحث عن هذه الرسالة ونشرها. ولا شك في أن رسائل الأدب لا تخلو من معلومات مفيدة للعلم، فإنا بالرسائل والكتب العلمية مثل كتب النبات - والمعادن - والكيمياء - والطب - وغيرها التي لم نطلع عليها وأأسفاه إلى الآن، والتي أفاد منها الغربيون واستقوا آراءهم، فقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية أن كازويني - وداميري اعتماداً في بحوثهما العلمية على كتاب الحيوان والنبات للجاحظ، ونحن وإن كنا قد عثرنا في مطالعاتنا على طائفة من حقائقه العلمية، فإن هذه الحقائق تعتبر نقطة من محيط. وشعاعة من شمس، قد يهدف ذكرها في هذا الموضع إلى سوء التقدير، وغباوة الحكم، ولهذا فأني اكتفى هنا بتوضيح مذهبه في البحث، وطبوعه العلمي، ووجه التحقيق والتدقيق، فها هو ذا يقدم لأحد كتبه في الحيوان بالنعوذ بالله من أن يدعو شغفه بآتمام كتب الحيوان إلى أن يصل الصدق بالكذب، أو يدخل الباطل في تضاعيف الحق. أو يتكثر بقول الزور، أو يتلمس تقوية ضعفه

وهزأة الساخرين، انبرى يشدو بذكره ويتغنى بمدحه، مما يجعلنا نعجب من الجاحظ ومن تناقضه الظاهر، ومن انقطاع الملازمة المنطقية بين هجوه الفارط المفرط، ومدحه اللاحق المفرط. استمع إليه يقول في مدح أحمد: «وهل على ظهر الأرض جميل حبيب، أو عالم أديب إلا وظلك أكبر من شخصه، وظنك أكثر من علمه، واسمك أفضل من معناه، وحملك أثبت من نجواه. وصمتك أفضل من فخواه!... ثم تأخذه الأنفة وتغويه العزة، فيتسامى على أحمد بالمعرفة ويتفاضل بالحكمة يقول: - فأنت والله يا أخى تعلم علم الاضطرار وعلم الاختيار وعلم الأخبار أني أشد منك عقلاً، وأظهر منك حزماً، وألطف كيذاً، وأكثر علماً، وأوزن حلماً، وأخف روحاً، وأكرم عيناً... وأنت رجل تشدو من العلم، وتنفق من الأخبار وتموه نفسك، وتعز من قدرك، وتتهيا بالثياب وتنبل بالمرأى... وأخيراً يحس الجاحظ شدة ما ساقه من الذم إليه فيعمد إلى تلطيفه ببيان الساحر الجذاب فيقول: - «فإن أنت عاقبتني، فقد رغبت عن النبل والبهاء، وعن السؤدد والسناء، وصرت كمن يشفى غيظاً أو يداوى حقداً أو يظهر القدرة أو يحب أن يذكر بالصولة.

ويشفع هذا بكلام يتنفس الملق والدهان يقول: - «وأنى لك بالعقاب وأنت خير كلك، ومن أين اعتراك المنع، وأنت أنهجت الجود لأهله؟ وهل عندك إلا ما في طبعك؟ وكيف لك بخلاف عادتك؟»

وأكتفى بهذا الاقتباس الطويل، الذي تعمدت اطالته لاثارة القارىء لتلاوة هذه الرسالة برمتها، ليتذوق جمالها الفني وحلاوة عباراتها وعذوبة ماثها، وهذه الرسالة عندى لا تمثل الجمال الفني للعبارة، بل أنها تمثل جمال المعنى وبلاغته.

وللجاحظ رسائل أخر شائقة متقدمة في الفصاحة متناهية في الرصانة والسلاسة والجزالة، وهى آية قائمة على تفوق الرجل في أدب المقال واحسانه فيه أقصى الاحسان. والمجال يطول بذكر شيء عن هذه الرسائل ونسرد أسماء بعضها ليدرك القارىء كيف تنبه الجاحظ منذ قرون لمعالجة موضوعات تهز العواطف والمشاعر والانفعالات. فرسالة البخلاء تحوى قصصاً غريبة عن بخلاء عصره وعاداتهم، ورسالة الحاسد والمحسود تهجن الحاسد وتذم انفعال الحسد. ورسالة «العشق والنساء» تصف عاطفة العشق وكيف يخضع لها الجبارة وكيف خضع لها الحجاج الطاغية. وكتابه «المحاسن والأضداد» تناول فيه ذكر محاسن كثيرة من العواطف الفردية مثل عواطف الصدق، والعفو، والمودة، والوفاء، والشجاعة،

باللفظ الحسن، وستر قبجه بالتأليف المونق، وهذه الأقوال لا تصدر إلا من رجل وهب ضميرا عليا يزعه عن الأوهام، وبزهره عن ذكر المغالط، ويدعوه الى الثبوت من العلة، وتنقية الثقة من الريبة، وتطهير الحجة من الشبهة.

وأنا لنراه في كتبه ومؤلفاته يستند كثيرا الى التجربة، ويعتمد على الملاحظة، فإذا ما أعوزته التجربة، ولم تيسر له الملاحظة، رجع الى ثقة من الثقات للذاكرة والمناقشة، فإذا لم يجد الثقة الذي يعتمد عليه ويتذاكر اليه. ربأ به ضميره عن نقل المعارف نقلا مهما كان مصدرها. فها هو ذا في كتب الحيوان تناول ذكر كثير من الحيوان والطير والحشرات، ورجع الى ما كتب أرسطو في الحيوان، وأخذ عنه بعض ماحققة بنفسه أو قامت التجربة على صدقه، ورفض أن يثبت في كتبه معلومات غريبة عنه، فنراه مثلام يكتب شيئا عن «السماك» مع أن أرسطو أفاض وأشبع القول في هذا الموضوع؛ ولكن الجاحظ أبى أن ينقل عن أرسطو شيئا في هذا البحث؛ وعلّة ذلك أنه لم تتوفر له الملاحظة عن السمك وعن طباعه وأحواله، وأنه سأل البحرّيين عن بعض الحقائق الواردة في كتب أرسطو فلم يصل منهم على قول محقق؛ لهذا ترك هذا الباب كلية، ولم يكتب فيه حرفا.

وأنا لنتمنى أن نجد مثقفا مصرية أو شرقيا يخصص نفسه؛ وينفق عمره، في التنقيب عن كتب الجاحظ العلمية في مظان وجودها ومحال مكانها. وينقلها لنا ليخدم بذلك الثقافة المصرية. لأن البحوث التي لدينا عن الجاحظ كلها موجزة مجملة؛ وكلها تركت الناحية العلمية جانبا. فالسندوبى قصر بحثه الواسع على - أدب الجاحظ - وترك علمه. واستقى مادته من جهرة صالحة من الكتب الأدبية، والاستاذ خليل بك مردم كتب بحثا مجملا مفيدا عن الجاحظ وثقافته. والاستاذ أحمد أمين كتب فصلا بديعا موجزا عن الجاحظ، ومس الناحية العلمية مسأخيفا. وليس من شك في أننا في حاجة الى من يدرس الجاحظ درسا واسعا من جميع نواحيه. واليوم الذي نجد هذا الرجل هو اليوم الذي تقع فيه على ثقافة متمعة. ونواح طريقة للتفكير العربي.

ثقافة الجاحظ السيكولوجية

ومن النواحي الطريقة لثقافة الجاحظ الناحية النفسية أو السيكولوجية. وهذه الناحية ماثلة بجلاء في طائفة من كتبه. وهي أشد ما تكون جلاء في كتب الحيوان السبعة. فقد تناول في هذه الكتب نفسيات الحيوان والطير والحشرات، وتحدث عن

أخلاقها وطباعها وعاداتها، وضمنها معلومات عجابا وملاحظات دقاقا تشهد بسعة ثقافة الجاحظ، وبأنه أنفق عمرا طويلا في معايشة الطير ومؤالفة الحيوان، ومراقبة الحشرات، وأنه هام من أجل ذلك في الغياض وتوغل في بطون الأودية، وركب البحار، وسكن الصحارى، ونبض قلبه مع النبات. واهتز اسحر الطبيعة: ففى كلامه عن الحيوان تحدث عن نبالة الكلب، وذكر أنه يتخير أنبل موضع في المجلس، وتحدث عن القط وذكر أنه لئيم خؤون وشره شديد الشراهة. وفي الوقت نفسه يؤثر أولاده بالاكل على نفسه!

وتكلم عن الديك وأثاره الدجاج على نفسه في سن الشباب؛ فإذا هرم صار أنانيا لا يعرف الا نفسه. وتكلم عن الفيل وجرأة قلبه، وقوة عزمه، بينما هو يفزع من القط فزعاً شديداً! وتكلم عن اليربوع وسعة حيلتها، وأنها علمت الفرس والروم الاحتيال، واتخاذ المطامير على تدبير بيوتها. وأفاض في ذكر عداوة الحيوان بعضه لبعض، فالأسد عدو للكلب يشتهى لحمه، والذئب يشتهى لحم الثعلب، والثعلب يصيد القنفذ وهكذا. وفي الفصول التي عقدها عن الطير أفاض في ذكر الحمام والعصافير. فذكر ان العصافير لا تقيم في الدار اذا خرج أهلها منها وأنها شديدة العطف والبر بأولادها، وتحتل الاخطار في سبيل الدرد عنها. وتحدث عن الحمام فذكر حبه للناس، وأنس الناس به، وأنه لا يهجر الدار اذا هجرها أهلها وأنه لا يغير... وفي الفصول التي عقدها عن الحشرات تكلم عن النحل وكال غريزته، وعن خلق الخلية وما فيها من غرائب الحكم وعجائب التدبير، وكيف يتضافر النحل في عمل الخلية. فنه ما يقوم بجمع المادة من الشجر والزهر. ومنه ما يبنى البيت، ومنه ما يقوم لعمل الشمع. وتكلم عن العنكبوت وبداعة نسجه. وطريقته الحكيمة في صنع مصيدة من خيوطه لا يقع الذباب وصيده. وتكلم عن عداوة القنفذ للحية، والحية للعصافير، والعصافير للجراد، والجراد لفراخ الزناير، والزناير للنحل، والنحل للذباب، والذباب للبعوض، وغير هذا من أجناس هذه المعلومات وأشباهاها مما وعته صفحات كتب الحيوان. وقد ذكرنا وشلا منها، ولا ريب أن المشتغلين بعلم النفس يجدون في هذه الكتب معلومات قيمة مفيدة. وبالأخص المهتمون بعلم النفس التجريبي الحديث الذي تدور بحوثه على درس الحيوان والحشرات. فجدير بنا أن نهم بهذه الكتب التي سبقنا الغريون الى تعرف خطرها وقدرها ونبايتها.

الخلاصة

ونخلص مما تقدم الى أن الجاحظ كان رجلا مثقفا بكل معنى

ذو الفأس

للأنسة سهير القلماوى

ليسانيه فى الآداب

جان فرانسوا ميلين رسام فرنسى عاش فى النصف الأول من القرن التاسع عشر . وقضى أخريات حياته فى الريف على مقربة من غابة فونتينبلو حيث رسم لوحاته الريفية المشهورة . أشهر هذه اللوحات لوحة (الانجلوس) وهى تمثل فلاحة وفلاحاً سمعا صوت جرس الكنيسة فهما يصليان خاشعين . ومن أشهر لوحاته « ذو الفأس » وهى تصور فلاحاً متكئاً على فأسه وقد بلغ به التعب والبؤس أقصى درجات الألم . تلك الدرجة التى يشعر فيها الانسان أنه فقد حواسه .

جاء بعد الرسام ميلين ، الشاعر الامريكى أدوين مركهام فنظم قصيدة أوحاها اليه هذا الفلاح المتكى على فأسه . ولقد أذاعت هذه القصيدة صيت الشاعر حتى أصبح يعرف باسم مؤلف ذى الفأس .

وهذه قصيدة أوحتها إلى قصيدة الشاعر مركهام والرسام ميلين . ولقد راعت فيها خاصيتين من خواص الشعر العربى : وهما الوزن ، وتمام المعنى فى البيت الواحد ، وأهملت الخاصة الثالثة وهى القافية . وأشعر تماماً أن اهمال القافية لا يحس به مادام المعنى كاملاً فى البيت الواحد ، فهل يشعر القارئ بمثل ما أشعر ؟

الكلمة . ولأقصى درجة من درجات الثقافة العالية ، فقد وعى أدبه ثروة وجمالاً وملاحظة ، وحوى عليه براعة الملاحظة . وصدق التجربة وتغلغل نفسه فى أعماق نفوس البشر ونفوس الحيوان . وسلك مذهب الحرية فى الدين فاحب جمال الدين وشعر العقيدة . ولم يترجح من اعتناق مذهب المعتزلة برغم مخالفته للرأى السائد .

وقصارى القول أن الجاحظ أديب العلماء وعالم الأدباء غير مدافع ؛ وفيلسوف عملى لا مذهبي وعالم يكثر الملاحظة والتفكير . وملاحظاته أغزر من تفكيره . فجدير بنا بعد هذا أن نتذوق ثقافته فتذوق روح الحياة . ونشق عطر البحث ، ونستمع بجمال الأسلوب ولذة المعرفة .

مصطفى عبد اللطيف الحامى

ميت غمر

ذو الفأس

متكئاً ع الفأس فى انكسار

منحنى الظهر من الهموم

ينظر فى الأرض بلا انتهاء

فليس إلا نحوها المصير .

قد أوهنت عظامه السنين

وغضنت جبينه العصور

وقسوة المسعى وراء العيش

قد أفقدته جزءه الانسانى .

من أطفأ الشعلة من حياته ؟

من رده وثوره سواء ؟

لا يعرف اليأس ولا الرجاء

لا يعرف الآمال والأحلاما .

ما المجد عنده وما الجمال ؟

ما الجاه ؟ ما السموم ؟ ما الخلود ؟

ما أبعد الهوة بين هذا

وبين حلم العالم المشهود !

أذاك من قد أبدع الرحمن ؟

أذاك من قد كوّن العظيم ؟

أذاك من قد خصه الجبار

بالعقل والعرفان والسلطان ؟

يا سادة العبيد والأراضى

هذا الذى قد صنعت أيديكم !

هذا الذى قدمتم لقاء الـ

غفران والرحمة من باريكم !

يا سادة العبيد والأراضى

كيف لقاء الرب يوم الدين ؟

يوم مثوله أمام الله

بعد سكون الساع والسنين !

سهير القلماوى

في الادب المصري القديم

فنون الشعر الفرعوني

القوائد - القافية - الاوزان - البديع - الجناس

للاستاذ حسن صبحي

مؤلف قصص البردى

القوائد المصرية

مذ خلق المصريون القدماء لانفسهم الكتابة الهيروغليفية، وهم يكتبون الشعر في صورة غير صورة النثر. يكتبونه مقطوعات مشطرة ثلاثية أو رباعية الشطرات، متقاربة الطول، مرتبطة المعنى، تستقل كل مقطوعة منها بمناسبة، تميز المقطوعة من غيرها، حتى في أقدم صور الشعر، قبل أن يفتن المصريون الى ضرورة فصل الشطرات عن بعضها بنقط حمراء في كتابته للدلالة على الوقف.

وانك لتجد في القصيدة التالية ما يعطيك صورة حقيقية لاقدم اشكال الشعر المصري، وهي منقولة عن الاصل الهيروغليفي:

«أنت تبخر في سفينك العطرى الخشب
يملاؤه الرجال من المقدمة الى السكان
فتصل الى مضيفتك العامرة هذه
التي ابتنيها لنفسك»
«يملاء فك النيزد والخمير
والخبز واللحم والفطير
وتذبح الثيران وتفتح الادنان
وتنشد الاغانى كلها أمامك»
«يضمحك كبير معطريك بالدهون الزكية
ويحمل اليك الاكاليل سقاتك
ويقدم اليك الطيور باظر فلاحيك
كما يقدم اليك السمك صيادك»

القوافي

وليس التشطير والمقطوعات وحدها هي ما تدل على شعرية النظم المصري، وتميزه من النثر، لكن القوافي أيضا تدل عليه وتميزه. ولو أنها من نوع غير الذي نعرفه في شعرنا الحاضر في أية لغة من اللغات. فقد كانت قوافي الشعر المصري قوافي استفتاح، يستهل بها الشاعر ابيات قصيدته، ويكررها في مستهل كل مقطوعة، كما ترى في القصيدة التالية المنقولة عن الهيروغليفية، والمعروفة بقصيدة (جدل المتعب من حياته مع روحه):

يحفظ التاريخ للمصريين القدماء سبق الابتكار في كل ناحية من نواحي المدنية. فزاه يسجل لهم أولوية الصناعة، كما ينعتهم بالزراع الاول، ثم يقص علينا من أنباء بعثاتهم التجارية الى النوبة والى الشام والى العراق ما يمكن لذوى المطامع منهم أن يستبسلوا في الأغارة على هذه البلاد بين حين وحين، وهم اذ ينتصرون يملكون الارض ومن عليها فينشرون من أسباب المدنية بين أهل هذه البلاد ما بقى أثره الى اليوم فيها، سواء كان في أساليب الزراعة أو في طرائق الصناعة أو طرق التجارة، أو كان في اللغة والنحت والتصوير، أو الموسيقى والرقص والشعر، مما بقى أثره لهذا الوقت الحاضر، في روح كل فن أو مهنة أو صناعة تمت للعصر القديم في أى من هذه الاقطار بصلة.

وكما كان المصريون في كل فن الاول، فقد كانوا أيضاً الشعراء الاول لهذا العالم، رأوا وأحبوا ما يحيط بهم من جمال الطبيعة الهادئة، ومناظرها المتكررة الساكنة، فنظموا الشعر وقصدوه في وصف النيل ومجره، وفي مطلع الشمس ومغربها، وفي فضية القمر وشحوبه، وفي خضرة الحقل ووحشة القفار. ثم عاشوا بين أسباب المدنية التي أقاموها فوجد الحب والبغض والحسد والشكر، وقامت الحروب وأقيمت الصلوات، وأحسوا كل هذه الصور في الحياة فقالوا الغزل والحمد، وهجوا واستعدوا، وأشادوا واستنهضوا، وكان لابد لقول هذه الصور المختلفة من الحياة من قوالب تصاع فيها، فخلقت القوالب وكانت القوائد والقوافي والاوزان والسجع، وتطور اقتنائهم ورقى فدخلته التباديل، ولعب فيه الجناس اللفظي، ليست هذه كلها أحدث فنون الشعر العصري؟

شوف كم هو بغيض اسمى
شوف أكثر من رائحة الدود
في أيام الحر حين تكون السماء ساخنة
شوف كم هو بغيض اسمى
شوف أكثر من صيد السمك
في يوم الصيد حين تكون السماء ساخنة
شوف كم هو بغيض اسمى
شوف أكثر من رائحة الطير
أكثر من مستنقع فيه أوز

الى آخر هذه القصيدة الطويلة التي تبدأ دائماً بـ (شوف كم هو بغيض اسمى) ، وأنا اذ أعرب اللفظ المصرى القديم الى اللفظ الحديث الدارج (شوف) انما أريد أن أعطى القارئ فكرة صحيحة عن معنى اللفظ الاصل الذى يراد به أكثر من الرؤية بالعين ، ومقصود به أن يلفت نظر القارئ او السامع في تعجب لمبلغ التشبيه من نفسه ، ووقعه فيها . مما تحمله كلمة (شوف) الدارجة التي نستعملها في حديثنا الآن عندما نريد لفت النظر والحس الى التعجب من أمر نهم له .

الأوزان الشعرية

من النقائص الكبيرة في دراستنا للغة المصريين القدماء ، عدم معرفتنا معرفة أكيدة لنطق الفاظها كما كانوا ينطقونها . وكل ما استطعنا أن نصل اليه في هذا هو النطق الذى احتفظت به اللغة القبطية لالفاظها وهي تأخذها من المصرية فكتبتها بحروف اغريقية ، وتخضعها حتما لاختلافات كثيرة متباينة ، يرجع بعضها لاختلاف نطق اللهجات المصرية بين صعيدى وبحيرى وفيومى وأخمى ، والبعض لاختلاف نطق حروف الكتابة الاغريقية عن المصرية ، والآخر لتدخل كثير من الكلمات الاجنبية في المصرية ، وأخيرا لاضطرار الاقباط الى نحت كثير من الالفاظ الجديدة مما يتفق مع تطور العمران وازدياد مقتضيات الحياة ، واتساع أسبابها .

لهذا كله نعتمد في أوزان الشعر على ما لدينا من الشعر المصرى المتأخر ، الذى كتب في عهد المسيحية ، وبقي لنا باللغة القبطية يعطينا صورة هي أقرب الصور الى الاصل القديم من غيرها .

والثابت الآن من قواعد النحو والصرف في اللغة المصرية القديمة التي أصبحت راجحة التفسير في العصر الحاضر ، ان كل كلمة ذات معنى في اللغة اسما كانت أو فعلا أو صفة — لم تكن تحتوى الا على حرف متحرك واحد شديد الحركة ، واذن فكل شطرة من شطرات الشعر المصرى تحتوى على وقفتين أو ثلاث أو أربع ، هي مواقع الحروف المتحركة الشديدة الحركة ، بينها وهداث متفاوتة الطول والقصر ، تكون الميزان الشعرى للشطر ، وتكون بهذا الوصف ميزانا شعريا مطلقا لم تصل بعد الى ربط صنوفه وتبويبها

واليك مقطوعة من الشعر المصرى المتأخر بنصها القبطى مشار تحت مواضع الحركة الشديدة في شطراتها بخطوط قصيرة ، والى جانبها تعريبها ولم أجد خيراً منها مثلاً لبيان أوزان الشعر المصرى :

النصر المصرى (بالقبطية) التعريب

أرشان إرأومى بوك إيشمو رجل آخر يذهب للخارج
تفراورومى شاف أكتوف أبف إى يدور سنة ثم يعود الى بيته
أ- أرخيليتس بوك إتانزيف لكن أرخيليتس ذهب للدرسة
اس او ميسى إنهواينا وأبف هو فكم هي الأيام حتى انظر الى وجهه

البديع

والشعر المصرى يفيض بالبيان والبديع ، وهو في كل أطواره وعهوده يدل على أن الشاعر المصرى لم يكن يكتفى بالسطر الواحد في المقطوعة ليدل على معنى يريد أن يصوره في صورة بارزة جميلة ، فاكسب بتلك الفصاحة لغته ثوبا أنيقا رقيقا ، صور دقة احساسه بما كان يديه من العبارات للمتشابهة المعنى المختلفة الالفاظ البديعة الاختيار ، التي يقتضى تخييرها نعومة في الذوق ، وعلاوا لا يتفق لكل الناس . فهو يقول حين يتحدث عن « تحوت »

« يستيقظ القاضى - يظهر تحوت »

والقاضى هو تحوت إله الحكمة ثم يقول عن الملك .

« وعندئذ تكلم اصحاب الملك »

واجابوا أمام ربهم »

نهضة الشعر العربي

وموسم الشعر

رسالة من الدكتور أحمد زكي أبو شادي

سیدی محرر « الرسالة »

اسمح لي أن أشكر لكم عنايتكم بخدمة الشعر العربي .
ولقد أتيت لي الاطلاع على فاتحة العدد الاخير من « الرسالة »
إذ أشرت إلى حالة الشعر العربي بعد شوقي وحافظ ثم تكلمت
عن فكرة موسم الشعر ، وإني جئت في الانصاف الأدبي وفي
خدمة الحقيقة التاريخية أستأذنكم في التعليق على فاتحتكم بهذه
السطور القليلة .

(١) لقد أصبتم في اشارتكم إلى ضياع شعر المناسبات بعد
شوقي وحافظ . وأما الشعر الفني الأصيل المتسامي بالنفس
الانسانية فقد ازداد تألقه ، وإن الشعب الذي تُصقل عواطفه
بمثل هذا الشعر والذي يتجه به إلى مثل أعلى لن يكون الخاسر
بفقدان شعر الحماسة الجوفاء والوطنية العمياء وأمداح المواسم
المعهودة إن أحسن ما في شوقي وحافظ حتى دائم ،
تضاف إليه الآن جهود الشباب الشاعر المثقف المتوثب .
وقد أصبتم بقولكم : (إن الزمن الذي يمحى الأشياء فينبى البهرج
الزائف ، ويثبت الحق الصريح ، هو الذي يعرف مكان هذه
الجهود ، من عالم الفناء أو من عالم الخلود)

(٢) بدأ نشاط (جمعية أبولو) منذ تكوينها في حياة
كل من شوقي وحافظ ، وبرنامجهما هو هو لم يتبدل . وقد كان
ولا يزال من المبادئ الأصلية للجمعية أن الشعر العربي لم يغنم
فنيًا من استخدامه في المناسبات السياسية وغيرها استخداماً
لا ضوابط له . ويرجع للجمعية الفضل في وقف ابتذال الشعر
في الصحف ، والقضاء على جعله مادة للتكسب الوضيع ، وفي
الارتفاع بتعريف الشعر والتسامي بغاياته ، مع العمل على
إبراز المجهول من الشعر العصري الجيد وإظهار الشعراء
القادرين الخاملين وماهم بالقليلين .

(٣) ستصلكم هذه الكلمة وعدد (أبولو) المخصص
لذكرى المرحوم حافظ . ومن دراستكم له ولعدد الذي خصصناه
من قبل لذكرى المرحوم شوقي ستقتنعون أننا لسنا من يحدد

جمال القديم ، فللفن جماله كيفما كانت صبغته ونزعتُه ، وفي
الوقت عينه لسنا من يتجاهل روح العصر والتطور الذي بلغته
الفنون الجميلة جميعها اتجاهًا وتعبيرًا ، ونحن جد حريصين
على أن ينال الشعر العربي نصيبه من كل هذا ، واثقين من
حيويتنا الشاعرة الفسيحة الأفق .

(٤) إن الروح العالمية التي دعتنا إلى اختيار اسم (أبولو)
لجمعيتنا ولملتتنا هي نفس الروح التي نصت في دستور جمعيتنا
على إقامة مهرجان سنوي ، وعلى تمثيل العالم العربي . ففكرة إقامة
موسم سنوي للشعر هي فكرة أصلية لجمعيتنا ، وغير صحيح
نسبتها إلى أي هيئة أو فرد آخر ، ولم يدر بخلد صديقنا الهراوي
سوى استغلال الموسم النبوي للشعر الديني ، ويرجع لأعضاء
جمعيتنا الذين لبوا الدعوة إلى اجتماعه الأول الفضل في التخلي
عن هذه الفكرة والدعوة إلى إقامة موسم سنوي للشعر الخالص ،
وكل هذا ثابت لا شك فيه .

(٥) لم تغضب جمعية (أبولو) إلا عندما رأت استغلال
مبادئها وبرامجها بأسماء أخرى ، واقتراح ذلك بدعايات ضدها .
فإن صديقنا الهراوي وصحبه من المحافظين ما كتموا يوماً
خصوصتهم لجمعية أبولو ، فقد كانوا وما يزالون وسيبقون دائماً
خصوماً لها ، لأن الجمعية ذات روح تعاونية قوية وتأيي إباء
فكرة الامارات والوزارات الشعرية وعبادة الأفراد ، وتعمل
بالروح التي أطراها شوقي في قوله :

لعلّ مواهباً خفيت وضاعت تُداع على يديك وتُسْتَغْل
بينما أصدقاؤنا الأعزاء يحملون دائماً بالمجد الشخصي على غير
ابتكار رائع يؤهلهم إلى شيء من هذا الحلم .

كذلك يرجع إلى (جمعية أبولو) الفضل في تقدير رعاية
وزارة المعارف وفي ضم الصفوف وترك الحزبية والمعاونة
على تكوين (جماعة موسم الشعر) التي نالت (جمعية أبولو)
أغلبية الكرائي في ادارتها ، وبعد الاعتراف بمنزلة وجهود
(جمعية أبولو) ودعوتها إلى مناصرة موسم الشعر بكل قواها
لم يبق هناك خلاف في هذه المسألة ، وإن بقيت الذكرى واليقين
بأن هذا لن يكون آخر خلاف بيننا وبين اخواننا المحافظين ، وأنهم
لن يتورعوا عن استغلال آراء الجمعية في أي وقت مع الطعن فيها .
وتفضلوا بقبول اعجابي وولائي ؟

تجديد التقليد

هذا العنوان نشرت مجلة المغرب التي تصدر بالرباط
هذا المقال فأحبنا أن يطلع أباؤنا عليه .

بعض أجنبية لما كان لها أدب أو فكر ؛ والتاريخ بالباب وهو
أصدق مرشد وأعظم برهان ، فلولاً الأغريق لما كانت مدرسة
الاسكندرية الفلسفية ، ولولا العرب لما كان لمصر أدب أو فكر
حديث يذكر ، ولا ذكرت مصر في تاريخ العالم إلا بفنم
وهندستها الدينية ؛ والحقيقة أن تلك الجماعة انما تريد ابدال المقلد
ابدال العرب بالغرب ؛ وقد بلغ تطرف صاحب مقال « الرسالة »
الى حد أنه رمى الكاتب الوحيد الذي ابتكر جديداً في العربية ولم يحاك
أحداً بالتقليد . وكتاب المولى « حديث عيسى بن هشام »
لا يزال قريب العهد ، وما يعنى الاسلوب اذا كان الكتاب
غريباً مبتكراً ؟ ولم تنتج مصر بعد جديداً سوى « الأيام » لطلح حسين .
ومنذ سنوات كانت جماعة المجددين المصريين تبرق وترعد
بمحاسن المدنية الغربية وأفضليتها وسوء الحضارة الشرقية . ولما
أراد الله رفع الستار عن مساوىء الاولى وظهر افلاسها بعد الحرب
فبرز كتاب أوريون عظام للتدبير بها وتفضيل الحضارة الشرقية
في عدة نواح وخصوصاً الروحية منها ، أخذت هذه الجماعة نفسها
تمجدها تقليداً لهؤلاء لاعن عقيدة ، وهذا حد التقليد !

انى لا أنكر على هؤلاء الكتاب حملتهم على التقليد وانما
انكر عليهم أولاً سعيهم في ابدال المقلد بدون كبير فائدة ،
وثانياً انهم بدلا من أن يشتغلوا في ابتكار جديدهم والعمل على الانتاج
الصحيح يضعون وقتهم في الصخب . أما خلق أدب مصرى قومى
فهو « مودة » بالية قديمة بالنسبة لمن يتخذ لقب مجدد ؛ على أن الادب الجليل
جميل في كل محل وتحت كل شمس وقر و « الفليلة ليلية » حجة لذلك .
وأما أن يكون عدم وجود الرواية والقصة سبب فقر
أدبنا العربى فهذا غلط ، فلربما جاء فكر عربى عند نضوجه بشئ
أفضل من القصة والرواية ، شئ يلائم طابعنا وأدبنا ؛ وان كان لا بد
منهما فسيجئان في وقتهما حسماً تنضج وتختمر الفكرة في عقول أبناء
العربية ، ولا يكفى قولنا لهما كونا فيكونان ، لان النبوغ يتدفق
من تلقاء نفسه ولا يستخرج ، وكذلك تقسيم الأدب العربى على
النمط الغربى ؛ وله تقسيمه الذى لا يحتاج الا الى اصلاح وضبط .
ويكفى مثلاً لفساد تطبيق أقسام التاريخ الأوربى على التاريخ
العربى الاسلامى ، أنى كنت أقرأ أخيراً كتاباً عن تاريخ الاسلام
والعرب لكاتب مجدد جرى فيه على الأسلوب الغربى في التقسيم ،
جاء فيه : « ... وقد كان آباؤنا يتخطون في بحر الجهل والتعصب
طيلة القرون الوسطى ... » والكل يعلم أن القرون الوسطى في
التاريخ العربى هى أزهى عصر المدنية الاسلامية العربية .

وأرجو لمصر أن تخرج من هذا المخاض بخير وعافية بفضل
مابقى صالحاً سالماً من أبنائها الكرام ، وأن يسفر هذا المخاض
عن انتاج صحيح مبتكر ؛ وألا تكتفى جماعة المجددين بابدال
المقلد فحسب . محمد حصار

في مصر اليوم جماعة من حاملى الأفلام بلغ بها حب التجديد
الى حد أنها رأت التقليد الذى يرسف في اغلاله كتاب العربية
وشعرائها قد بلى وقدم ، وأنه في حاجة ماسة الى التجديد ف راحت
تسود أوراق الصحف والمجلات بالنهى عن تقليد العرب ، وأسلوب
العرب ، وتفكير العرب ، وكل ما هو من العرب باختصار ... لا لتضع
في محله شئاً جديداً مبتكراً ، ولكن لتحاكى الغرب ، وأسلوب الغرب ،
وتفكير الغرب ! وكل ما جاء عن الغرب وان لم تسعر بذلك ،
أليس هذا تجديداً ... للتقليد ؟ أو ليست هى جماعة المجددين ؟ وعدم فهمكم
لها جعلكم ترمونها بعدم القدرة على التفكير بالعربية وأساليبها
الضادية ؛ وكيف تكون غير قادرة على هذا وهى التى تعلمت في
أوروبا وقضت شهوراً وأعواماً في « حى مونبارناس » والحي
« اللاتينى » ... وهلم جرا . لا . ليس هذا (عجزاً يتظاهر بالقدرة ،
وجهاً يتستر بالتحذق) كما زعم الزيات ، بل سيل التجديد طغى
حتى على التقليد وأراد تجديده .

أتدري ماذا تنكر هذه الجماعة على العربية ؟ تنكر عليها أنها
خالية من القصة والرواية ، ومن « التراجديا والكومديا
والميتولوجيا » وأن أدبها ليس منقسماً مثل الأدب الغربى الى
« كلاسيكى ورومانتيكى » وأن شعرها ليس منقسماً الى « أليك
وليريك » وأن جن شعرائها لم يتأله ، ولم يتخذ « ابولو » : ذلك
الاسم العالمى اسماً له ، وأن التاريخ العربى الاسلامى ليس منقسماً
كالتاريخ الغربى الى : « العاديات والقرون الوسطى وعصر
النهضة والعصر الحديث والعصر الحاضر »

وصفوة القول أن ذنب العربية هو عدم مجيئها على النمط
الغربى ، وقد تكون جذيرة بأن تقلدها جماعة المجددين المصريين
لو أنها احتوت على مثل تلك الأقسام ، وأخشى مع هذا أن لو كان
مثل ذلك للعربية دون الغرب لآلفته قديماً بالياً ، ويكون مع ذلك
الحق معها ؛ لأنها ليست جماعة المبتكرين بل جماعة المجددين ، وكل
ما يهملها هو التجديد لا الابتكار . ولو كان يهملها هذا لأخرجت
لنا عوض هذا التقليد المشوه والصخب الفارغ والكلام الأجوف ،
انتاجاً فكرياً صحيحاً ، ولست أنكر أنها جاءتنا « بمعجزات »
فنية جديدة كل ما فيها غرنى إلا بعض الفاظ وحروف عربية .

وهنا ضرب الكاتب المثل برسالة الاستاذ توفيق الحكيم الى
الدكتور طه حسين ، ثم لخص بعض رأى الاستاذ ، وعقب عليه بقوله :
هذا رأى الكاتب ، أمارأى أنا فهو أن مصر القديمة لولا تلحقها

العبقرية

علم وأدب وفن

للاستاذ الحوماني

أو في طريق هذا التنفيذ ، نحس بشيء يشعنا بصحة هذا العمل
أو فسادها . فما هو إذن ذلك الشيء الذي نشعر به في انفسنا غير
الارادة ؟

هل هو ذاتها ، فيصح كون الشيء ضدنا لنفسه ، أم غيرها ، فيثبت
لدينا ان الحى مركب من ارادة تفعل ، ونفس تفعل وتنفعل ، وشيء
آخر يشرف عليهما ، فيكون من الفعل والانفعال مثلاً أعلى هو هو ذلك
الجزء المنبعث من الحكمة المبدعة الاولى ؟

ثم على فرض وجود هذا الثالث ، فهل وجد مع النفس كالارادة
ثم نماه فعل الارادة في الخارج الى حد أصبح معه ذا سلطة عليها في
كثير من الاحيان ؟ أم هل تكون في النفس من تصادم الارادات
ضرورة بقاء المجموع ليضمن بقاء الفرد فيكون وجوده متأخراً ؟
وهذا إنما يتضح في أجماع العقول الناضجة مثلاً على استحسان أمر
له علاقة في بقاء المجموع واستقبال أمر آخر يتعلق بفساد المجتمع فيرى
هذا الاجماع المستمر في النفوس ملكة كبت الارادات والمحاكمة بينها
فتكون هذه الملكة أم هذا الموجود الثالث الذي نسميه فكراً تارة ومعتقلاً
تارة أخرى ، ان صح تعاقب هذين اللفظين على معنى واحد كما سيمر بك
وعلى كلا الأمرين فانا نشعر ان في ذواتنا نفوساً تتدافع
وتتصادم في الحياة فتتحرك هذه القوالب بأمر من الارادة ، أو تتحرك
هي بارادة أخرى تتصادم وارادتها ، ذاتية كانت أو عرضية
ثم نشعر ان ضمن هذه النفوس ارادات تسيرها الى ما خلقت
له طبعاً (١) فهي تريدك على الطعام والشراب والمتعة ضرورة أن
هذه من مقومات حياتك

ونشعر بعد ذلك ان هنالك ما يستعرض هذه الأوامر الارادية
ثم يعرضها على الحياة فيصل بها إما الى صلاح فيستمر معها وأما
الى فساد فيصدها . ذلك هو الفكر قبل الحكم وهو يستعرض ويقيس ،
وهو نفسه العقل والهووى بعد الحكم متسلطاً على الارادة أو خاضعاً لها
ومن الصعب جداً تحديد أى الثلاثة في طريق تحديد الآخر منها
لشدة تمازجها والصلات المتأصلة بينها .

وربما كان أصدق تأويل لها هو أن النفس (٢) إنما هي الوسيلة
الاولى لتنفيذ أوامر الارادة ، والاعضاء هي الوسيلة الثانية . على
ان العقل هو الحاكم الاعلى المشرف على المجموع ، ينتهي الحكم
عنده سلباً أو ايجاباً

أمامك ماتحسه في الطبيعة كائناً ومكيناً من عظمة (١) وقفت
عقولنا دون حدها أو تصورها ، فكنا أمامها ولا نزال حائرين لا الى
الرشد كل الرشدين فنتبين مصدرها ، ولا الى الجهل كل الجهل فصدف
عنها بطبعنا ، لان الحى لا يستطيع ان يفكر فيما وراء حياته ، فهو يريد
ان يقيس ما خفى عنه على ما بدا له ، ولعل ما يبذله هو خلاف الحقيقة
التي ينشدها من وراء ما يحس اذ يمكن ان يكون ما يترامى له اليوم
حقيقة ، ينكشف عنه الغد خيالا ، نتيجة كذب في حس أو خطأ في فكر
وربما كان ما يأتيه العقل في يقظته ، وهو قيد الحواس ، حلماً
يبدوله بعد تحرره من رق هذه الحياة الدنيا فتكون نسبة ما تأتيه
اليوم الى ما ندركه بعد الموت كنسبة ما تأتيه في الحلم الى ما ندركه
في اليقظة

فاذا ثبت لدينا ان في الاثر لاحالة جزءاً من روح المؤثر ثبت
بداهة ان في هذه النفس جزءاً من القوة المسيطرة على الكون أو
القائمة به ضرورة انها (أى النفس) إحدى جزئيات الداخلة في
مفهوم كليته

فالارادة كما يبدو لنا هي أولى خصائص النفس وقد كانت
الكنز الاول في خزائنها . ولكن هل هي الجزء الذي ينم على الفكرة
التي ابتدعتها في الكون ؟

قد تكون ذلك اذا ثبت لنا انها هي جاع ما في النفس من
جمال ، ولكن اني لها ان تكون كذلك وليست هي المثل الاعلى في
الانسان بله الحيوان بداهة ان مناطها في النفس حب البقاء والسيادة
والاستمتاع ؟ فالمرء يريد بطبعه ألا يتناول من الخارج الا ما يتصل
ببقائه وسيطرته وأستمتعاه .

فاذا كان ذلك مناطها ورأينا ان الصلاح كثيراً ما يكون في كبتها
وصدها عما تأتيه ، علمنا إذ ذاك ان المثل الاعلى في النفس الذي
يشير الى حكمة الصانع الاول هو غير الارادة

ثم اذا استعرضنا ماتأتيه هذه الارادة من عمل بعد تنفيذ

١٠ لا يلزم من قولنا طبعاً ان يكون ماتأمر به هو العلة لوجودها وحده ، فان
الارادة لما خلقت وكان ماتأمر به ناقصاً لان يكون علة تامة لها ، سلط عليها العقل فكان
ميلها مع تهذيبه هو علة لوجودها وذلك هو المثل الاعلى فتأمل
٢٠ النفس هنا هي الثانية المعبر عنها بنواة الحياة والتي مر بك تعريفها في صدر المقال

١٠ مساق الكلام هنا في معرض النداء على عظمة المكون عطفاً على ما سبق من
ان عظمة الصانع مقبسة على عظمة صنعه

فالإرادة في الطبع تأمر والعقل يوقع ، والنفس تنفذ مباشرة ، في الداخل أو بواسطة الاعضاء في الخارج . والنفس تنفرد دونها في النوم والجنون والاعياء ونحوها ، اذا صح ان لإرادة للمجنون بناء على ان الإرادة مناط امر النفس بما يعوزها طبعاً لاجتماعا ، والمجنون قد يفعل ما يضره في الطبع بله الاجتماع . فالإرادة لا تحمل الحى انسانا كان أو حيوانا على أن يلقي بنفسه من شاطئ كما يفعله المجنون أحيانا ، من أجل ذلك تتحقق فيه النفس دون الإرادة والعقل .

وهكذا هي في النائم دونها ، اذا صح ان العقل الباطن الذى هو زعيم الاحلام ليس الا خيال العقل الظاهر الذى هو زعيم اليقظة وحقائقها كما اعتقد ، لأنه حقيقة مستقلة تكون من تجارب العقل الظاهر التى اخفق معها في حاضره أو ماضيه . ولكن العقل اليقظ المتخيل الذى يتزعج من الحقائق خيالا غريبا ينطبع خياله هذا في مرآة النفس فيفعل فعله منتزعا من أخيلة الحقائق في اليقظة أخيلة غريبة في النوم : واذا لم يكن العقل الباطن هو نفس العقل الظاهر (١) يبدو ضعيفا لضعف مركزه العصبى المتأثر بالنوم الى حد يتخلل معه نظامه ، فيكون تناهى العقل بالحدة الى درجة التخيل المبتدع . وتنأيه بالضعف الى درجة خرافات الاحلام . وكلاهما يتزعج من بين حقيقتين أو حقائق خيالا مزعجا في الحلم أو رائعا في اليقظة ، وكما يصيب في يقظته المغيبات أحيانا كذلك هو في حلمه . . . إذا لم يكن كذلك فهو خياله المنطبع على مرآة النفس يتضاءل لبعده عن الحقيقة فيظهر مبتراً منقطعاً .

وأما الإرادة والعقل فلزومان للنفس لا انفراد لهما دونها ، فحيثما وجدت الإرادة والعقل كانت النفس ولا عكس

ماذا وراء النفس بعد الإرادة ؟؟

يقولون ان هنالك عقلا وفكراً وخاطراً وضميراً ، ان هنالك ذهنًا وفطنة وذاتاً وذكاء ، ان هنالك شعورا وعاطفة وخيالا . وليست العبرة في تعداد هذه الخصائص في الانسان ولا في نسبتها اليه ، وانما العبرة في تحديد كل منها وبيان ما يميزها من غيرها من الخلال ، ولغموض هذه الفروق نرى الكثيرين يخلطون في الكلام عليها ، من أجل ذلك يحمل بنا قبل تحديدها أن تتمثل فيما يعرضها واضحة الحدود .

لنفرض أن لك صديقا حميما قد كثر غشيانك اياه في منزله الذى

(١) خذ الطفل مثالا لذلك فانه يعقل ولكن عقله ضعيف لضعف مركزه من الجسم ، من اجل ذلك تراه يتخيل الغريب من الصور كالحالم

يضمه واجل فتاة قد اقترن بها ، وفي كل زيارة ينمو في نفسك حب هذه الفتاة ، لما ترسل اليك من نظراتها الساحرة ويملاً نفسك من ورائها جمال نفس يفيض على فيها رقة وابتساما ، والى جانب هذا الحب تنمو في نفسك صداقة الزوج لما يغمرك به من فضل واحسان الى رقة طبع ودماثة خلق ، وليس ما تربي في نفسك من ولاء اخيك وحب فتاته بأقل مما يحمل الزوج لك من ولاء . وتشعر به الزوجة نحوك من غرام

تبادلتما هذا الحب وبدا لك جليا واضحا هيامها بك وشوقها لك من عينيها الشاخصتين اليك ونظرها المسبغ عليك ، ثم بدا لك أن تزور صديقك في وقت كنت مضطراً معه الى أن تراه ، وكان هو مضطراً فيه الى أن يغادر مكانه ، فكنت والزوجة خيلين في منزل واحد وعلى مقعد واحد يناجى كل منكبا الآخر بما يجول في نفسه ، فيبدو جليا على عينه رقة وفي حديثه تقطعا ، وفي حركاته اضطرابا . ثم امتد الأمر بك الى أن هم كلاكما بصاحبه فكانت هي أشد ثورة منك ، فأول ما تتحرك فيك الإرادة والرغبة ؛ ولكنك قبل أن تنفذها أو تبشر تنفيذها تلحظ ما يحف بهذا العمل الذى اقدمت عليه بدافع قوة الإرادة الحيوية ، تلحظ ما يحف بهذا العمل - وهو اشباع نفسك من جمالها - من أمور خارجية منها ما يدفعك اليه ومنها ما يردعك عنه ، فمن الاول التمتع بالجمال المماثل أمامك الذى هو في متناول يدك ، ثم أمان العاقبة وشيوع الامر المفضى بك الى العار ، ثم اشباع نفسها من جمالك لتأمن مكرها فيما اذا هي اخفقت منك

ومن الثانى - خيانة صديقك البار بك ، والتعدي على جمال ليس لك فيه حق ، وتشويه هذا الجمال بما تخفيه من دخيل داء لا بد من ملاحظتك هذه الامور واستعراضها جملة أو متفرقة في زمن واحد أو ازمة مختلفة تتخللها فترات قصيرة . فأى العوامل كان أقوى أثرا في نفسك لقوته في الخارج كانت له السيطرة عليك داخلها فكان قائدا لك .

فاما أن يكون الاول فيجذبك اليها وتلبث زمنا ما تعبت بجمالها والشهوات تقيمك وتقعديك بين يديها وإما أن يكون الثانى فيصدك عنها وتخرج ناصع الجبين مطمئنا الى راحة الوجدان .

تجرى هذه المحاكاة بناء على سلامته بذلك واستقامة نظام الحياة فيك وإلا فلضعف الاعصاب . وهي بعض مراكز هذه الخصائص تأثير قوى في صرف الإرادة وتعصيدها . « يتبع »

٣ — بلاط الشهداء

بعد ألف ومائتي عام

للأستاذ محمد عبد الله عنان

وأخفق مشروع الخلافة في فتح الغرب من تلك الناحية ولقى الاسلام هزيمته الحاسمة في المشرق أمام سور بيزنطية، وقامت الدولة الشرقية في وجه الاسلام حصنا منيعا يحمي النصرانية من غزوه وسلطانه. ولكن جيوش الاسلام جازت الى الغرب من طريق اسبانيا، وأشرفت من هضاب البرنيه على باقي أمم أوروبا النصرانية، ولولا تردد الخلافة وخلاف الزعماء لاستطاع موسى ابن نصير أن ينفذ مشروعه في اختراق أوروبا من المشرق الى المغرب، والوصول الى دار الخلافة بطريق قسطنطينية ولكن من المرجح أن تلقى النصرانية ضربتها القاضية يومئذ، وان يسود الاسلام أمم الشمال كما ساد أمم الجنوب، ولكن الفكرة قبرت في مهدها لتوجس الخلافة وترددها.

على ان الفتوح التي قام بها ولاية الأندلس بعد ذلك في جنوب فرنسا كانت طورا آخر من أطوار ذلك الصراع بين الاسلام والنصرانية، فقد كانت مملكة الفرنج أعظم ممالك الغرب والشمال يومئذ، وكانت تقوم في الغرب بحماية النصرانية على نحو ما كانت الدولة الرومانية في الشرق، بل كانت مهمتها في هذه الحماية اشق وأصعب، اذ بينما كان الاسلام يهدد النصرانية من الجنوب كانت القبائل الوثنية الجرمانية تهددها من الشمال والشرق؛ وكانت الغزوات الاسلامية تقف في المبدأ عند سبتانيا ومدنها؛ ولكنها امتدت منذ ولاية السمخ الى اكويتين وضاف الجارون؛ ثم امتدت الى شمال الرون وولاية بوجونيا وشملت نصف فرنسا الجنوبي كله، وبهذا بدا الخطر الاسلامي على مصير الفرنج والنصرانية قويا ساطعا؛ وبدت طوابع ذلك الصراع الحاسم الذي يجب ان يتأهب لخوضه الفرنج والنصرانية كلها.

كانت المعركة في سهول فرنسا اذن بين الاسلام والنصرانية. بيد أنها كانت من الجانب الآخر بين غزاة الدولة الرومانية والمتنافسين في اجتناء تراثها؛ كانت بين العرب الذين اجتاحتهم املاك الدولة الرومانية في المشرق والجنوب؛ وبين الفرنج الذين حلوا في ألمانيا وغاليس. والفرنج هم شعبة من أولئك البربر الذين غزوا رومة

وتقاسموا تراثها من واندال وقوط وآلان وشوايين. فكان ذلك اللقاء بين العرب والفرنج في سهول فرنسا أكثر من نزاع محلي على غزو مدينة أو ولاية بعينها: كان هذا النزاع في الواقع أبعد ما يكون مدى واثراً. اذ كان محوره تراث الدولة الرومانية العريض الشاسع؛ الذي فاز العرب منه با كبر غم ثم أرادوا أن ينتزعوا مابقي منه بايدي منافسيهم غزاة الدولة الرومانية من الشمال

وكانت هذه السهول الشمالية التي قدر لها ان تشهد موقعة الفصل بين غزاة الدولة الرومانية تضم مجتمعا متنافرا لم تستقر بعد قواعده ونظمه على أسس متينة. ذلك ان القبائل الجرمانية التي عبرت الرين وقضت على سلطان رومة في الاراضي المفتوحة كانت مزيجا مضطربا من الغزاة الضمأى الى تراث رومه من الثروة والنعماء. وكان القوط قد اجتاحتوا شمال ايطاليا منذ القرن الخامس وحلوا في جنوب غاليس وأسبانيا؛ ولكن هذه الممالك البربرية لم تكن تحمل عناصر البقاء والاستقرار، فلم يمض زهاء قرن آخر حتى غزا الفرنج فرنسا وانتزعوا نصفها الشمالي من يد حاكمه الروماني المستقل بامره، وانتزعوا نصفها الجنوبي من القوط وحلت في غاليس سلطة جديدة ومجتمع جديد. وكان الغزاة في كل مرة يقيمون ملكهم على القوة وحدها، ويتقسمون السلطة في نوع من الاقطاع، فلا يمضي وقت طويل حتى تقوم في القطر المفتوح عدة امارات محلية. ولم يعن الغزاة باقامة مجتمع متماسك ذي نظم سياسية واجتماعية ثابتة ولم يعنوا بالاخص ان يندمجوا برعاياهم الجدد، فكان سكان البلاد المفتوحة من الرومان والغالين الذين لبثوا قرونا يخضعون لسلطان رومة ما تزال تسود فيهم لغة رومة وحضارتها. ولكن القبائل الجرمانية الغازية كانت تستأثر بالحكم والرياسة وتكون وحدها مجتمعا منعزلا لبثت تسوده الخشونة والبداءة احقابا قبل ان يتأثر بمدينة رومه وتراثها الفكري والاجتماعي. وكان اعتناق الفرنج للنصرانية منذ عصر كلوفيس اكبر عامل في تطور هذه القبائل، وتهذيب عقليتها الوثنية وتقاليدها الوحشية. ثم كان استقرارها بعد حين في الارض المفتوحة؛ وتوطد سلطانها وتمتعها بالنعماء والثراء بعد طول المغامرة والتجول وشظف العيش، وحرصها على حياة الدعة والرخاء، عوامل قوية في انحلال عصبيتها الحيوية وفقر شغفها بالغزو، واذ كاه رغبتها في الاستعمار والبقاء. وهكذا كانت القبائل الجرمانية التي عبرت الرين تحت لواء الفرنج، واستقرت في غاليا قد تطورت في أوائل القرن الثامن الى مجتمع مستقر متماسك نوعا. ولم تكن غاليس قد استحال عندئذ الى فرنسا، ولكن جذور فرنسا المستقبلية كانت قد وضعت وهبئت

وكما يشتهر المصريون في الوقت الحاضر بحبهم الشديد للجناس اللفظي، الذي تفيض به الاغانى والاشعار الدارجة، فإن أجدادهم المصريين القدماء هم أصل هذا التراث الفنى البديع، الذى يلد للقارىء ان يطالعه، وينعم بفكاهاته .
خدمثلا الاغنية المصرية الدارجة :

يادى الجمال والدلال والحب ونهاره
والشعر فوق الجبين كالليل ونهاره
والدمع فاض م الجفون كالبحر وانهاره
قلبي أسير فى هواك ويحل انهاره ؟

والكلمات الاخيرة فى كل الايات متشابهة النطق لكنها تؤدى معانى مختلفة تمام الاختلاف .

مثل هذا الجناس كثير فى الشعر المصرى ، وجميل ، لكنه مستحيل الترجمة لأن اللعب فيه يدور على الالفاظ فى علاقاتها بالمعنى، فاذا ماتغير اللفظ بترجمته فقد الجناس بطبيعة الحال، ومع ذلك فسأحاول أن أنقل هنا بضعة شطرات من هذا الشعر الذى يحتوى الجناس وأنا أعربه عن المصرية بتصرف كبير لأوفق فيه الفاظ الجناس، وأقربها للفهم لا أكثر ولا أقل هى قصيدة طويلة فى وصف عربة الحرب قال فيها واصفها :

« عرفت رأسها كل البلاد، وخر لها القواد »

ورأس العربة أى مقدمتها، وإذا دخلت فى ركاب الملك كل البلاد فقد عرفتها ، ولأنها مصنوعة على شكل رأس كبش رمزا لآمون إله هذا العصر فان القواد جميعهم خروا سجدا لهذا الرأس . ثم يقول :

« مقابض عربتك عنات وعشتر »

يريد بذلك من جهة مقابض العربة، التى يمسكها الملك وهو يحارب فيها، من الجهة الأخرى أن القابضين على زمام العربة هما إلهما الحرب فى العربة

ولا يستطيع القارىء مطلقا ان يتذوق جمال هذا الجناس الا وهو يقرأ النص المصرى القديم الذى يدل على مبلغ ما وصل اليه المصريون من الافتنان فى الشعر والصنعة الشعرية، ومبلغ حبهم للنسكة والتورية منذ أربعين قرنا مضت ، ناطحتهم فيها شدائد توهن أصلب الاعواد، ومع ذلك لم تذهب بروحهم الكبيرة، ونفسهم المرححة، مدى هذه القرون الطويلة ؟

الاسباب والعوامل لنشوء الامة الفرنسية . بيد ان هذا المجتمع رغم تمتعه بنوع من الاستقرار والتماسك كان وقت ان نفذ العرب الى فرنسا فريسة الانحلال والتفكك، وكان الخلاف يمزقه كما بينا، وكانت أكويتين وباقي فرنسا الجنوبية فى يد جماعة من الامراء والرعماء المحليين الذين انتهزوا ضعف السلطة المركزية فاستقلوا بما فى ايديهم من الاقاليم والمدن . ثم كانت القبائل الجرمانية الوثنية فيما وراء الرين من جهة أخرى تحاول اقتحام النهر من آن لآخر وتهدد بالقضاء على مملكة الفرنج . فكان الفرنج يشغلون برد هذه المحاولات، ويقتحمون النهر بين آونة وأخرى لدرء هذا الخطر ولارغام القبائل الوثنية على اعتناق النصرانية . فكانت المسألة الدينية أيضاً عاملا قويا فى هذا النضال الذى يضطرم بين قبائل وعشائر تجمعها صلة الجنس والنسب . ولم ينقذ مملكة الفرنج من ذلك الخطر سوى خلاف القبائل الوثنية وتنافسها وتفرق كلمتها (١) هكذا كانت مملكة الفرنج والمجتمع الفرنجى فى أوائل القرن الثامن أعنى حينما نفذ تيار الفتح الاسلامى من اسبانيا الى جنوب فرنسا . وكان قد مضى منذ وفاة النبي العربى الى عهد هذا اللقاء الحاسم بين الاسلام والنصرانية (سنة ٧٣٢ م) مائة عام فقط ، ولكن العرب كانوا خلال هذا القرن قد اقتحموا جميع الامم الواقعة بين السند شرقا والمحيط غربا ، واكتسحوا العالم القديم فى وابل مدهش من الظفر الباهر ، واستولوا على جميع أقطار الدولة الرومانية الجنوبية من الشام الى أقاصى المغرب واسبانيا، وعبروا البرنيه الى أواسط فرنسا . هذا بينما انفتحت القبائل الجرمانية الشمالية أكثر من ثلاثة قرون فى افتتاح أقطار الدولة الشمالية ومحاولة الاستقرار فيها .

« يتبع »

« الأدب المصرى القديم - بقية المنشور على صفحة ١٨ »

وربهم هو الملك، لكن لكل من الجملتين معناها الخاص على رغم تشابه الغرض . ثم انظر كيف يصف واقعة فى موضع آخر :

« أولئك الذين يدخلون الى هذا القبر

أولئك الذين يرون مافيه »

هاتان الجملتان تبدوان للقارىء السطحي تكراراً، لكن القارىء الدقيق الاحساس يستطيع ان يتبين فيهما فرقا اراده الشاعر المصرى القديم، هو يريد ان يأخذ يد الداخل الى القبر فيضعها على مافى القبر من نقوش وتحف، أكثر مما فيه من شيء آخر . أليس فى هذا منتهى دقة الحس ونعومة التصوير ؟

١٠ . راجع Creasy: Decisive Battles الفصل السابع فيه استعراض حسن لآحوال المجتمع الجرمانى فى هذا العصر وعرض شائق لحوادث موقعة تور . راجع أيضا Zeller: Hist de L'Allemagne, Ch. VII

في الأدب العربي

عكاظ والمربد

اضطررنا لكثرة المواد أن نرجى بقاء هذا البحث القيم الى العدد المقبل فعدرة الى قرائه .

من طرائف الشعر

مداعبات شوقية لم تنشر

ظفرنا بثلاث قصائد من الشعر الفكاهة لشاعر الخلود شوقي بك نظمها ولم يتمها (في الدكتور محبوب ثابت ومكسويني) . ومكسويني هذا كان حصانا بائسا يجر مركبة الدكتور ولا يزور الا اصطبل الالماما ، فألح عليه اللب والسغب حتى لصب جلده ووهن جلده فمات وكانت في حياته وموته موضوعا لطيفا لكثير من الشوقيات الغر ؛ نشر بعضها ولا يزال البعض الآخر مطويا . وسنكتفي اليوم بهذه القصيدة التي قالها الشاعر على لسان خلفه بعد موته . وكان الدكتور محبوب يومئذ معتقلا في قصر النيل عقب الثورة مدة الخلاف بين الزعيمين سعد وعدلى .

سيوفُ أبيه من خمسين عاما لواصق بالجدار بغير سل
علاها العنكبوت فكان غمدا على غمد قديم العهد خل
ولى كالخيل اصطبل ولكن افارقه وأترك فيه طلي
سلوا (بارالواء) و(صُلّت) غنى ومصطبة السرى الشيخ الاجل
من المرشال^٢ أطلب رد روجى وعودة فارسى وفكاك خلى
وأُنذر أن تفضل صوم عام ومثل من يصوم ومن يصلى
والآمتُ دون الحق جوعاً كذلك مكسويني مات قبلى
ويا كمبوت^٣ فيم كسرت قلبى وأمس الحادثات كسرن رجلى
وما الدكتور مجنون بسعد ولا هو بالحلل شتم عدلى
ولكن قبلة الدكتور مصر^٤ وسودان يراه لها كظل
بقصر النيل بات ، وكل سجن وان كان الخورنق لا يسلى

(١) المحرم ابراهيم باشا سعيد رئيس لجنة الوفد المركزية اذ ذاك .

(٢) اللورد اللبني ، وكانت الاحكام العسكرية معلنة . .

(٣) المستر كين بويد مدير الامن العام للقسم الاوربي .

أقضى الليل حول السجن شوقاً للحيته أناجيها : أطلى
تشير من النوافذ لى وتومى كغانية هنالك ذات دل
ولولا الديدان دنوت منها وكنت أنا الممشط والمفلى

نجوى

لشاعر الشباب السورى أنور العطار

أقول لنفسى ، فى هذه الساعة . وفى هذا المكان :
كنت ذات يوم محبوا . ولقد أحبتها . ولقد كانت جميلة .
ثم خبأت هذا الكنز فى نفسى الخالدة . ورفعت الى الله .
(الفريد دى موسىه)

إليكِ أبعثُ أحلاماً مرّوعةً

منزوعةً من فؤادٍ جدّ محروبٍ

ماتتِ تَسْتَنِمُ إلى صمتٍ فيغمُرُها

لكنها أختُ تسهيدٍ وتعذيبٍ

تظلُّ تَقْلِقُ هذا القلبَ صارخةً

حتى تَلِمَ بطيفٍ منكِ محبوبٍ

كباغِمْ موجهٍ أفضى الهزالُ به

الى مرامٍ عسير الدّركِ محجوبٍ

إن علّوهُ بما ينسِيهِ مطلبُهُ

أو حَى الخيالِ إليه الف مطلوبٍ

يصوّرُ الدمعُ ما يعينُ اللسانُ به

ومدّمعُ الطفلِ موثى الأساليبِ

لهفى عليه تُمْنِيهِ الرّؤى عبثاً

كأنه لُعبَةٌ بين الألاعيبِ

أقصيتنى عنكِ لاعهدٌ ولا أملٌ

سوى عذابٍ على الايام مصحوبٍ

وعشتُ بعدكٍ منخوفٍ الفؤاد هوّى

مغرّباً فى ديارى أىّ تغريبٍ

وقد بدا العيش خلواً من مفارحه
 مجللاً بشجاً كالليل غريب

 والحقل بعدك تؤذيني زيارته
 فأثني عنه والثراد يُغري بي
 لا أستطيع أجيل الطرف مفتقداً
 آثار حب كدمع الفجر منهوب
 مافي حتماً لله حسن ولا ألق
 ولا أزهريه تحضل بالطيب
 إذا خيالك لم يبهجه مؤتلقاً
 فالحقل في ماحل كالفقر مجذوب
 غشيته وفؤادي ما يفيق جوى
 ما كان أجدرني عنه بتنكيب
 هنا تذوقت سر الحب مغتبطاً
 من غير ما مآثم فيه وتريب
 هنا من الحب سفر رائع عجب
 قد ضم أقدس تذكاري وتجريبي
 هنا شبابي مد الله سرحته
 رباً وما فيه من وزر ولا حوب
 هنا الهوى كان طفلاً في محفته
 وكان أمتع مولودٍ ومربوب
 لما حباً هلل الوادي له فرحاً
 وقد قلب فيه أى قلب
 فرشت بالزهر المنصور ملعبه
 فرقت يزهو بتنضيد وترتيب
 وحينما سعد الوادي بمطلعه
 رمى به الموت في هلك وتيب

 وراعى أن أرى الأطياف ساكنة
 خرساء من غير ترنيم وتطريب
 لا النهر يوحى إليها ناغماً هزجاً
 سكران يركض في أثناء ملحوب

خيبتني فطويت العمر مكتئباً
 ما كان أوجع حرمانى وتخيبى
 خلفت نفسى آمالاً مصرعة
 ما في قرارتها غير الأكاذيب
 ترى السموات تابوتاً قد انسدت
 على جوانبه سود الجلايب

 من الهوى أن يعود العمر طالحة
 أيامه بصبي كالخلم موهوب
 يبنى من الشفق الرفاف زورقة
 ويستحيل إلى أنس وتحبيب

 هذى الامانى أضنتنى مآربها
 ياويحها كم أداريها وتلهو بي
 منحتها خافقاً نهلان من أمل
 يهز بالشدو أرواح المطاريب
 فما جزتنى على ودى بعارفة
 تبقى ضامداً الجرح غير مرؤوب

 الكون بعدك أنقاض مبعثرة
 كمعبد من عراك الدهر مخروب
 ترى به مقلتي المسلوب رونقها
 دار الحريب وماوى كل منكوب
 مشت عليه الليالى وهى هازئة
 نكراء تفرع مشعوباً بمشعوب
 لا دُميتى بت أرهاها وأعبدتها
 كناسك ذاب في جوف المحاريب
 ولا دعائى أدت بي معارجه
 إلى مظاف شهبى الحلم مرغوب
 وأين، لا أين مى همس فاتنة
 أفنيت في حسننها حبي وتشبيبي
 غابت فولت عن الدنيا بشاشتها
 فليست ألمح فيها غير تقطيب

ولا النسيم تذكي في جوانحها
أشعار قلب من الأوجاع مكروب
تكاد إن أخذت عيني خيالها
تردها بين تصديق وتكذيب
لم يبق من أنسها الحالى سوى أثر
من اسمك العذب فوق الجذع مكتوب
خشعتُ بالقرب منه ذاهلاً حسراً
كهيكل في شعاب الأرض منصوب
قدسته فمضى تغري يقبـله

ومدمعى بين محبوس ومسكوب
تقتات نفسى بالذكرى ويؤنسها
خيالك الحلو في صحوى وتغيبى
وقد أراك فينسى القلب لا يحج
ولا يطيف يأس منك محلوب
تبارك الحلم الرقاف كم غلبت
غيبابة منه حزناً غير مغلوب
حججت بيلتك في وهى فأسعدت
روحي بود نقى النبع مصبوب
كأنما نسى الحسن الذى طفحت
منه السموات اذلاجى وتأويى
فتشت في ساحة عن ظل موحية
غيداء غطت على سحر الرايب
ناديتها باسمها فارتعت مرتجفاً

من موحش دائب الانصات مرهوب
فما رأيت لها ظلاً ولا أثراً
وملت الدار من بحى وتنقيبى
خلت مقاعد كانت أمس مونة
فغامت اليوم من نسج العنايب
أحس منه صدى صوت أقدسه
أسرى إلى الخلد من وخذ وتقريب
كأن بالأذن من نجواه وشوشة
تبكى على أمل في الغيب مغصوب

مشى مع النور لا تثنى عزيمته
عجلان يدفع ألحوباً بالهوب
يلوح في الفلك الفضى متشحاً
بلامع من شعاع الخلد مصبوب
مازال يطوى الفضاء الرحب مختفياً
كتائه في فجاج الغيب محزوب
حتى ترامى على عرش الاله أسي
وذاب في لاهب بالحب مشوب
أنور العطار

مجمرة الأفق

لله عند المغيب موقفنا وللهى عندنا تباريح
نرتقب الليل فوق رايه يعبق منها العرار والشيح
والشمس في أفقها معلقة من حولها للسحاب توشيح
كأنها والسحاب بمجرة أطار عنها رمادها الريح
ليلاى ماج الغدير وارتجحت لليل في حضنه مصايح
دونك روضاً كأن أغصنه صدر لضم العشاق مفتوح
هزى أراجيحه، فهل خلقت إلا لأحلامنا الأراجيح؟
لاشمس غابت، ولا ظلام دهى ولا غصون هفت ولا ريح
لكنه حيناً فما اختلجت في الروض لولا غرامنا روح
شفيق معلوف

شاعرة

غادة جرت ذبول الأدب وتغنت بقريض العرب
يأسن الشعر فأن مر على ثغرها عاد بنشر طيب
تنطق الألفاظ معذوبة بفم حلو اللبى معذوب
درر خارجه من درر تلك لم تثقب وذى لم تثقب
شد ما يأسر لى قلم مرهف في أمل محتضب
يارعى الله قواما لنا ينخى كالقوس خلف المكتب

في الأدب العربي

من الأدب التركي الحديث :

عبد الحق حامد

للدكتور عبد الوهاب عزام

شاعر الترك الاكبر، حمل لواء الشعر أكثر من خمسين عاماً غير منازع، ولا يزال على المرض والشيخوخة مطمح الأبصار، وقلة الأفكار .

ولد سنة ١٢٦٧ هـ فهو الآن في الخامسة والثمانين من عمره المبارك، وما قئ منذ بلغ العقد الثالث فياضاً بالشعر والنثر يسلك فيهما المسالك المختلفة موفياً على الغاية، بالغاً من الجمال والجلال النهاية، حتى كتب أكثر من ثلاثين كتاباً، ثروة يفخر بها الأدب التركي بل يتحلى بها الادب الانساني.

وليس يتسع المقام هنا للإبانة عن شعره ونثره، أو الافاضة في وصفه والكشف عن نواحي النبوغ والاعجاز في طبعه، ولكنني أعرض لكتاب واحد من كتبه :

في سنة ١٣٠٢ كان الشاعر في الهند فرضت زوجته، فسافر بها راجعاً الى دياره فمات في الطريق ودفنها في بيروت . وكانت في سن الخامسة والعشرين، وشاعرنا يومئذ ابن خمس وثلاثين.

كانت وفاة فاطمة قيامة في نفس عبد الحق وفي الادب التركي . كتب في البكاء عليها زهاء ألف وخمسمائة بيت في كتابين أكبرهما وأولهما سماه « مقبر »، وهو صرخة ماتزال مدوّية في الأدب التركي منذ خمسين عاماً . ولن يمحي صداها في الحياة ما بقي في الانسان قلب وما بقي للشعر التركي قارئ، والثاني سماه « أولو » أي الميت . يقول جناب شهاب الدين وهو من أعظم أدباء العصر :

ان « المقبر » ومقدمته فتحة عصر جديد في أدبنا المنظوم والمنثور . ولم تؤثر وفاة فاطمة في حياة الشاعر وحده بل في آداب الامة كلها . . . ولا ريب أنه قد ولد من القبر الذي في بيروت شاعر

جديد أعظم من شاعرنا الاول . ان « المقبر » أعظم وأجل تمثال في آدابنا، ولست ارتاب في أن هذه البديعة التي كتبت على حافة البقاء قد قدر لها الخلود .

« المقبر » ثورة هائلة بعث فيها الشاعر أناته وعبراته وصيحاته وكل مافي قلبه وعقله . ينظر الى القبر با كيا فيطير به الفكر في أرجاء العالم، و يصعد به الى الله ثم يطوى فكره شيئاً فشيئاً ويهبط به الى القبر ليطير عنه الى السموات كرة أخرى . وهو في ثورته واستسلامه يذكر القارئ بقصيدة فكتور هوجو (A. Villequier) التي رثى بها ابنته

ثارت ناثرة بعض النقاد على حامد « ومقبره » حينما نشره اذ رأوا فيه لغة غير مألوفة، وثورة غير مفهومة، فكان في جلال الحزن وشدة الالم أسمى من أن يبالي المدح والذم . وما كتب الشاعر كتابه ليكون بديعة أدبية . بل أراد، كما يقول : أن يبني بالشعر قبر الحبيبة، لا يكثرث بالناس حين ينيه؛ ولا يبالي بما يقولون فيه .

وقبل أن أعرض على القارئ نموذجاً من « المقبر » أترجم مقدمته المشورة التي يراها بعض الادباء عهداً جديداً في النثر، كما يعدون الكتاب عصراً جديداً في الشعر . قال :

« المقبر » : — وهو آخر ما كتبت — كتب لتخليد وجود أصابه الفناء . وأنا أعلم أنه ليس في « المقبر » أثر من المعاني الشعرية التي تنطوي عليها المقابر . وإنما « المقبر » صحيحة حسرة منبعثة من العدم، فلن يظفر قارئه بشيء، ولكنه عندى شيء . أجل أن الفكر حين يحوس خلال الكتاب ليطوّف في مقبره ثم يخرج منه كما يخرج من المقابر؛ لا يفقه شيئاً . . .

قراءة فاتحة هذا الكتاب كاستيعابه كله، والاحاطة بما فيه كالتفكير في اسمه . لقد كتب هذا الكتاب في مقبرة، فهو وحي من الالم لمن يعرفون الكاتب السيء الحظ، ووحى من الكلال لمن لا يعرفونه .

من يسألني : لماذا تنشر على الناس آلامك في هذه الصورة وكان يسعك أن تكتمها في قلبك، أو تكتبها ولا تنشرها ؟ فذلك جوابي له :

لا يبقى من هذه الاجساد المتهافة في وادى الصمت الا أحفان من التراب ، وكذلك لا يبقى في القلب من أحب الذكريات إلا خيال دارس ، ولست أقنع بهذا الخيال .

وأما نظم الكتاب وحفظه بين أوراق قصيره أن يبلى كما تبلى الاعضاء الميتة والافكار اليايسة ولست أرضى بهذا البلى .

هل يضمن نشر الكتاب خلودها كما رجوت ؟ لا — ولكن مهما يكن من شيء فاه المقبر ، أطول منى عمراً . ومن أجل ذلك نشرته ، انه قبر مبنى من الصيحات التى فى قلبى ؛ أود أن تكون كلماته كالكمات التى نقشت على الاحجار . هيهات ... !

كل صيحة فى هذا « المقبر » قبر منفصل ولكن فيها كلها دفينا واحدا ، هو الانسانية التى تجلت لى فى الوجه الذى أحبيته . كتبت هذا الكتاب لأقرأ وحدى ، فقليل من يشاركنى احساسى . بل لأود أن يشاركنى أحد فى هذا الاحساس خشية أن لا تكون هذه المشاركة الا بالتجريب . أريد أن أبكى وحدى على المسكينة التى بكيتها ، وهذه الوحدة عندى سلوان لانها أكبر العذاب . ألا يرى القارىء أن هذه المقدمة كذلك تشبه كتابا كتب لى وحدى . وبعد . فليست العبارات المكررة فى « المقبر » الا كلمة واحدة ، وليست هذه الكلمة الا قبرا ؛ كما تنتهى الاصوات كلها الى النفس الاخير .

لا ارتاب ان « المقبر » كأثرارى الأخرى سيفنى ، بل اعرف ان الابدية كلها لا تنفى بحفظ آلامى على حالها ، وسيصعد الكاتب الى حضرة الخالق ودماء هذا الجرح سيالة من قلبه

من القلوب مالا يجتمع فيه السرور والآلام ، ومن القلوب مالا يزول حزنه بما يصيب فى الدنيا من سعادة وجد ، ولكن هذا الحزن لا يحول دون السرور ، وفى بعض القلوب يخيم السرور والحزن معا ، ومن أجل ذلك تلوح السلوة فى الحزن أحيانا ، ويبين الالم فى الابتسام .

ومن القلوب ما يزيد الفرح أحزانها . ومن هذه الآلام آلامى . أود أن أطرب ليزيد حزنى ، ولست بمستطيع أن أفهم الناس ذلك ، فلغة هذا الاحساس تكبر على الأفهام . فلاصمت !

إن القارىء الذى يريد أن يعد « المقبر » شعراً لأنه من آثارى لن يجد فيه من شاعرى أثرأ ، ولكنه اذا فكر يسمع صرخات يستطيع أن يحسبها شعراً ، وما هذه الصرخات الا عجز البشر .

أعظم الشعر وأجمله وأصدقه أن يعيا الانسان بالبيان فيصمت حين تنوبه إحدى الحقائق الهائلة . ولكن المقبر يخطف ولا يصمت .

يعجز الانسان أحيانا أن يعرف خيالا لاخطر له لما يهره من

جماله ، ويقصر أحيانا عن أدراك الفكر الطائر عن عقله لما يفوته من علائه . ويعيا أحيانا بفهم الاحساس المولود من قلبه لما يهوله من عمقه . وفى هذا العجز يرسل صيحاته ، أو يشدو بمالا يفهم من كلماته ، أو يصمت فلا يترجم عن حسراته ، يأخذ قلبه فيطؤه بقدمه فيحطمه . وهذا كله شعر .

« المقبر » يتضمن احساسا ولده قلبى . ولكنه فى بعض نواحيه غريب كل الغرابة عما يروى من شاعرى . يجد القارىء فيه لغتين لا تشبه أحدهما الأخرى ، حتى يحسب أن قد تعاقب على « المقبر » كاتبان . بل يبعد بعضه منى حتى أعيا أنا بفهمه .

فأما حديثى فيه عن الماضى - وهو أكثر مواضعه خرابا على أنه أحبا الى - فيبكى من يعدونى شاعرا ، ويزيد صدق من لا يعدونى من الشعراء . وبعض مواضعه ليس من شعرى ، بل هو أشبه بقبر فتاة فى ميعه الصبا .

أول هذين من النقاىص الأدبية ، والثانى من النقاىص الانسانية . وما يرجع الى تصوير الفضائل ناقص أى نقصان وبعض نواحيه لا يستطيع أن يمدت فى الأرض لأنه صيحات . « المقبر » فى جملة ، يراه كثير من الناس أثرا باردا ، ولكنها البرودة التى تحرق قلبى .

لا بد لعالم الأدب من آخرة ، والمقبر من هذه الآخرة علامة ، « المقبر » قبر حياتنا الأدبية ، والمقبر زوالى (١)

« المقبر » بين عن فكر واحد بأساليب شتى ، الفاظه عندا الخاصة لاشئ ، ومعانيه عندا الخاصة والعامة لاشئ ، ولكن هيكله قبر ميت عزيز فهو عندى شئ .

« المقبر » خفيف فى جانب ثقل المصيبة التى أصابتنى ، فأرغى فى جانب عمقها ، عدم فى جانب شعرها ، ولكنه بالقياس الى شئ .

ينبغى أن يكون « المقبر » ضريحا لا قبرا ، معبدا لا ضريحا ، كوكبا لا معبدا ، فضاء لا ينتهى لا كوكبا . ولكنه وأأسفا ، لم يبلغ أن يكون قبرا .

« المقبر » ينبغى ان يكون منبرا ينزل اليه نور الالهى ، ولا يستطيع أن يصعد اليه الفكر الانسانى ، يجب ان يكون « المقبر » محشرا . هيهات . ! لأقول يجب الا أظهر فكرى ، بل ، يجب أن يكون بما لا يمكن ظهوره . « المقبر » يئن أبدا . وان دل هذا الأنين الأبدى على العمق فواحسرتا أنه لا يعدو أن يكون قبرا . ان معنى هذا « المقبر » ظواهر المقابر .

ذكرت النقاىص الأدبية والنقاىص الانسانية . نعم ، ماذا عسى

(١) يريد الشاعر أن الكتاب بغموضه وركاكنه قضى على الشعر التركى .

ويمينا بضة ناعمة خلقت للجد لا للعب
طبع النفس عليها شامة كالتى فى خدها الملتب
أن فى قرطاسها مرقها كائين العاشق المكتتب
وحنا بين يديها رأسه كأنحاء الساجد المقرب
غادة مرآتها أن نظرت صفحة من صفحات الكتب
يأله الشعر باركها إذا سبحت فى موجه المصطخب
احفظ الهيفاء من تياره ليس بحر الشعر سهل المركب
يا فتاة الخدر عوذتك من سهر الليل ونجوى الشهب
وشروء الفكر فى جنح الدجى وهروب اللفظ عند الطلب
أتركى جفئك ينفث سحره فى خيالى وقفى عن كشب
لا تقولى الشعر بل أوحى به أنت خصب للخيال المجدب
أنما الشعر محيط فاسلى ودعى أمواجه تقذف فى
أنه عبء على حامله مال هذا العبء ألا منكبي
محمود غنيم

يا ليتنى !

عيني هل من صوب دمع مسعد؟ نفدت دموعى والأسى لم ينفد
روح فقدت حنانها البر الذى لا يستظل بمثله إن يفقد
مازلت فى حزن عليها مريض وتخير فى إثرها وتلد
جاءت وراحت أشهر لم تنصرف عن ودها روحى وقد صرفت يدي
وتجى أعوام وتذهب أشهر لا يرتوى من وجهها الطرف الصدى
يا ليتنى قد كنت حاضر يومها وسعدت قبل رحيلها بتزود
وشهدت أنها بلّين مهدها ورأيت سكنتها بجافى المرقد
لما نضت أو صاب داء مسقم من بعد طول تصبر وتجلد
ورمت قيود معيشة ما عاشها فى الناس غير مثقل ومقيد
لولا حذارى أن يفجعها الأسى ويؤودها صرف الحمام المعتدى
ويزيدها شجنا على أشجانها

لوددت لو عاشت وكنت أنا الردى
ونعمت فى لحدى بهاطل دمعها ينهل لى وبشوقها المتجدد
وحنانها الصافى يظل مزاوراً قبرى بروح مع الزمان ويعتدى
وأقر جسمى فى التراب موسداً ذاك القواد يعودنى فى العود
قد كان ذلك راحتي لا ما أرى من حيرة تضنى وعيش مكمد

فخرى ابوالسعود

أن أفعل؟ ماذا أفعل لتصحيح الخطأ واكبر الخطأ صادر من المصحح.
ان الآيات يجب أن تصنع للوقائع الجليلة، والافكار الجميلة،
كما تبنى الهياكل للأسماء الكبيرة، وبأسماء الوجوه الجميلة. والقبر
هيكل بناه الله فكيف نستطيع نحن أن نصور ونجسم؟
أى شاعر جسد امرأة جميلة فصورها للذين لم يروها؟ أى قلم حكى
الحاسن الطبيعية على وجهها؟ ان الذى يلهمنا احسن ما نشعر ونكتب هو
الطبيعة وهذا الشعر يشبه الصورة التى تترامى فى الماء لا بد لها من مصدر خارج.
بعض أكابر الأدباء يدعون أن مزايى الشاعر تولد من نفسه
وليس هذا رأى. ان محاسنى «ان كانت» هى للجمال والمروج والوجوه
الجميلة والأزهار. وأما سيئاتى فهى لى. أقول قبل أن أختتم:
ان المصيبة التى أخبرنى بها «المقبر» قلبت شعرى كما قلبت كل
شئ فى. فهل صعدت صدمة هذا الانقلاب بفكرى أو هبطت به؟
يعرف ذلك أخوانى.

انظروا كيف عجزت عن كتابة كلمات حتى فى المقدمة؟
الانقلاب الذى ذكرت هو قيامى فى نقطة أو فى فضاء غير
محدود حيث تصطدم السماء والقبر. بقى قلى طويلا بين هاتين القوتين
الهاثلتين، كلما اقتربت شعرت بالعزاء وكلما ابتعدت غمرنى اليأس.
ثم أتحدنا فتحطمت فظهر «المقبر». فهل هذا شعر؟ محال.
كان يجب أن يتحد القبر والسماء أو بعبارة أصدق أن يبقيا مفترقين،
وكان يجب أن أنوح فى الافتراق والاستغراق فيكون هذا شعرا
أنا لا أستحسن معظم ما كتبت قبل «المقبر» وبعضه يعجبني
قليلا، وأما المقبر فلا يعجبني قط، ولكنى أحبه كل الحب. لا يعجبني
لأن صلة هذا الكتاب بالأدب واهية، وأحبه لأنه «هى»
لعل «المقبر» يشبه الشعر عند من يرون الخليفة كلها شعرا،
وهو عندى يذكرنى بشاعرة - شاعرة كانت شعر القدرة الصانعة
كل ما فى «المقبر» على نقصه وحشوه. روحانية متوفاة، ومعنوية روح
«المقبر» حالها وصورتها وخيالها وهيكلها وقبرها وحياتها
التي ذهب الدهر بمحاسنها. ثم أكرر فأقول: «المقبر» «هى»
ومن أجل ذلك أحبيته.

ولكن «المقبر» فى نظر الأدب طفل دميم: طاهر، ولكنه
ليس جميلا، وفيلسوف حقير: حكمة ولكنها ذات ريب، وحسن
معيب: صحيحة ولكن ذات صناعة، وقبر مشيد: ليس جزينا ولكنه
قبر: مغرب، ولكنه متلالى، جمال ولكن بغير حب، شعر
ولكنه ذو قافية، لأجل هذا لا أحبه

الفكر نهايته الموت، والشعر نهايته الألفاظ والقوافى، فإذا أضع؟
ان لم يكن «للمقبر» بد من فكر شرعى فهذا الكتاب قبر متوفاة،
أسأل زائريه الفاتحة.

وفى العدد الآتى نعرض على القارئ مثالا من شعر «المقبر»

ان شاء الله

في الأدب العربي

الزهريّة المصدوعة

لسوللى برودوم

ترجمة الأستاذ أبى قيس عز الدين علم الدين

عضو المجمع العلمى العربى

سوللى برودوم شاعر فرنسى ولد بباريس سنة (١٨٣٩-١٩٠٨) وثقف بها فى شبابه بثقافة علمية متينة ، اكتسب منها عناية الشديدة بتدقيق العبارات وتوضيح الدلالات ، وقد أمتزج ذلك بما أوتيّه من قوة الأحساس وسعة الاحلام ، ولم يتخرج الا من المدرسة البرناسية التى تعلم فيها كما قيل : « ان ينظم بصعوبة قصائده السهلة » وقد برع فى التعبير عن أدق عواطف القلب البشرى وأصدقها . براعته فى قصائده الفلسفية المشتملة على أسمى المعانى وأنبها .

وأما قصيدته الموسومة بالزهريّة المصدوعة فان لها شهرة ذائعة فى الغرب ، وهى من آيات سوللى والروائع الرمزية الخالدة ، وقد عرف بها ناظمها لبعدها شهرة فليل : شاعر الزهريّة المصدوعة وفيها أبدع الأبداع كله بتشبيه القلب الجريح الذى نضب دمه فذبلت زهرة محبته بالأناء ، الصديع الذى جف من الصديع ماؤه ، فظلمت زهرة نبتته وذبلت أخيراً ، والذى جرح القلب هو قسوة المحبوب وتماديه فى هجرانه ، تمادياً حرمة ندى عطفه وحنانه ، قال :

شهدت الأناء الذى فى ه تقضى من الزهر سوسنة وادعه
قد اصطدم اليوم - ويحاله - بمروحة صدمة صادعه

لكنها لم تك غير لمس

فلم تثر من ضجة أو حس

ومع أنه كان صدعا لطيفا وما ظنه احد بالشديد

فقد كان تأثره ، وهو سار ، ببلوره كل يوم يزيد

وقد سرى الصديع خفيا

فامتد فى الأناء تدريجيا

وماء الاناء ، وفيه الحياة غدا يتقطر من صدعه

١٠- الأناء الذى تنمو فيه الأزهار وتزدان به الدار ويسمى الايص أو القصريّة .

فجفت عصارة أزهاره و غاض الرحيق جنى طلعه

لم ينتبه لذاك حى يعلم

لاتلّسوه ! إنه محطم

ورب يد غضة قد تحب أناملها وهى تبدو لطيفه

تمس شغاف القلوب فتخ دشه خدشه قد تحال خفيفه

ينصدع القلب لها من نفسه

ذابله زهرته ليبسه

وقلب يرى أبدأ فى العيو ن صيحجاً وما هو قلب صحيح

نما جرحه فبكى صامتا وبالجرح يشعر قلب الجريح

وجرحه العميق هذا مؤلم

لاتلّسوه ! إنه محطم

أبو قيس

دمشق

حديث الطبيعة

لشاعر الطبيعة وردز ورت

أهاب صديقى ذات صباح لدن رونق العيش غض نضر

هنالك عند البحيرة إذ جلست أطيل لديها النظر :

أراك قضيت سحابة يومك منفردا فوق ذاك الحجر

فقيم اعتزالك يا صاح تمضى حياتك بين الرؤى والذكر ؟

وكتبك أين ؟ شعاع الحياة يُبَيِّن من أمرها كل سر

إليها ! وفر بتراث الجدود الذى خلفوه لآتى العصر

تقلب فى أمك الأرض عينا كأن ولدتك لغير وطر

كأنك أول من ولدته ولم يحى قبلك حى غبر ،

فقلت : وهل أذن تأتلى عن السمع ، أو مقلة عن بصر ؟

سواء على الجسم إن رمت منه الشعور وإن لم ترمه شعر .

رأيت الطبيعة ذات قووى تغلغل فى مهبّجات البشر

الفصل الاول - المشهد الاول

محمد ينظر الى الكواكب ..

أواه ! لأستطيع أن أفرق بينك يا اشعار السماء ، الا تترين الى نفسي وقد برح بها شجن بليغ غنيف ، لقد كان من أرضى أمانى هذه النفس أن تهب احساساتها لكل كوكب ؟ فاقدرت على ذلك ؟ فأي هذه النجوم الفواتن يسلفني السمع ويسترق صلاتي ؟ .. أى هذه النجوم ينظر الى طرفي الدامع الضارع ؟

أى كوكب العشيّة الساجية الرخية الظل ، انك لتجوز نواحي الافق ، في حاشية من بروق فتانة ، ثم تواريك هذه الغلائل الرقيقة فتتأى عنى فاناديك ، الا عدّ الى مسفرك وانظر الى ، فانتى أولعت بك أشد الولع ، وهمت بفقونك واشراقك اثابك الله ايها القمر ، انك لافضل من يرشد هذه الكواكب ، ويقودها الى عوالم الضياء والبهاء ، فأنرطريقى ولا تذرنى هائماً في هذه الظلمات مع شعبي السادر الحائر !

وانت ايتها الشمس التي تخلع ظلها على الاشياء والناس ، ظلمني بنورك البهي وقودى خطواتي ، ولا يحجبك عنى سحاب أو ضباب ! أواه ! أتتوارين عن عيني في الاسداف البعيدة ايتها الشمس يامن غدا أمرها فتنة لجميع الناس

من يجذبني اليك ايها التقدير العظيم ، من يقربني منك يامن خلق الارض والشمس والقمر والسماء وخلقني انا في لحظات ، من يقربني منك فاغسل قلبي بنورك الذي لا يغيب
المشهد الثاني - محمد - حليلة

« محمد : اى حليلة ! لماذا جئت في هذه الساعة الهائلة الصافية ؟ كان وفودك على لاثارة حياتي الراكدة الساجية ؟ » حليلة « جنب نفسك الخوف يا بنى فاني مازلت أبحث عنك منذ غارت الشمس واطفل النهار ، ناشدتك الله الا تعرض شبابك الرقيق الناعم لاسواء الليل ومخاطره

« محمد » يفرق الرجل الردىء الخبيث من متوع النهار كما يفرق من سحر الليل ، وذلك لان الرذيلة تجلب التعاسة ، أما أنا فلست ذلك الرجل الذي يعاف متوع النهار وبهاء الليل ، فلقد غمر الله نفسي بضوئه ، وخلق من حولى عالماً يزهر شبابي ويريق عليه سحره وفتونه . « حليلة » ولكنى أخاف عليك وأنت في عز لتك في هذا الليل البهيم ان يدهمك اللصوص والسراق

« محمد » الا تترين الى ؟ اننى لم أكن وحدي في هذا الريف الضحيان

« البقية على صفحة ٤٠ »

تغذى النفوس وهن سكون ولم نشق فيها النهى والفكر
أتحسبنا لن ننال الحقيقة دون طلاب طويل عسر
وهذى الطبيعة آثارها شواهد ناطقة بالعبر ؟
فان تترى لحديث الطبيعة أنصت في صمتى المستمر
فلا تسألنى علام قضائى حياتى بين الرؤى والذكر ،
فخرى أبو السعود

محمد

للشاعر الفيلسوف جيته

بقلم الأستاذ الجليل معروف الارناؤوط

أولع جيته شاعر المانيا الاكبر وأديب الانسانية الاعظم في شبابه باشعار الشرق واقاصيصه ، وبلغ من ولعه بمحاسن الشرق حدا جعله يتهافت على دراسة ماضى شعوبه ، وفي سنة ١٧٧٢ قرأ جيته للمرة الاولى ترجمة القرآن للاستاذ ماغرلين فسحرتة بلاغة سورة ابراهيم ، كما استهوته طفولة محمد ، هذه الطفولة البارة التي أمضاها في بيت حليلة السعدية مريض الرسول اليتيم ، وكان جيته على نصرانيته يشعر بصفاء الاسلامية وطهارتها ، فعكف على دراسة حياة محمد وخرج من هذه الدراسة التي وهب لها عواطفه واحساساته بروايته التمثيلية « محمد » وهي مأساة في ثلاثة فصول أودعها جيته أرق اشعاره وأعذبها ، وكان أمتع فصول هذه الرواية التي لم تقل لسوء الحظ الى اللغة العربية ذلك الفصل البارع الذي صور فيه شاعر المانيا الاكبر محمدا معتزلا قومه ليعيش في الريف ، وفي هذا الفصل يتحدث الرسول الى الكواكب ، ثم يفتح صدره لله فيغمره بنوره الخالد ، ويخرج يتيم مكة بعد ذلك الى العالم نبياً ورسولاً

ومما هو جدير بالذكر أن رواية محمد لم تسكد تظهر في المانيا حتى راح خصوم جيته يتهمون به بالكفر والخروج على النصرانية فنشر جيته على أثر ذلك رسالته المشهورة وعنوانها : لماذا آمنت بمحمد ، وذكر فيها انه أحب محمداً كما أحب عيسى بن مريم ، وأنه يرى في الاسلامية ديانة الخلق السامى الصحيح وقد نقلنا بعض فقرات من هذه الرواية العظيمة ليقف القراء

على رأى سيد أدباء العالم في سيد انبياء العالم

الحى داء ودواء

للدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

ذكر «وتى» ذلك، وكان جاهلا بالطب، وذكّر أن الملاريا تصحبها حرارة عالية، فترامى له في لحظة ان الحى التى تصحب الملاريا ربما كانت هى السبب الاول فى الشفاء، ذلك أنها تطبخ ميكروب الجذام فهلكه. وتراعى له أنه لو صح هذا لكان للحى التى تحدثها الكهربية مثل هذه الصفة. على أثر هذا استأجر خيرة فى علم وظائف الاعضاء اسمها الآنسة «هوزمر» فاثبتت له ان الفئران وأمثالها من الحيوانات القارضة يمكن اصابتها فى المجال الكهربائى بأى قدر يراد من الحى. وبعد ذلك استخدم الدكتور «كربنتر» وهو بكتريولوجى ذو خبرة وأمانة، فعدى كثيرا من الارانب بالجذام ثم وضعهم فى المجال الكهربائى ليصيبهم بالحى فشفاهم بذلك.

نشرت هذه الابحاث منذ ثلاث سنين، كان من المنتظر ان تثير فى عالم الطب عاصفة، ولكنها لم تثر الا نسائم خفيفة، وسبب هذا أن الطب امتلأ فى السنوات الأخيرة بأكاذيب كثيرة وشعوذة ميسرة للعالم، صدرت عن علماء أومتعلمين، وعدا هذا فالجديد اينما سار يجر وراءه ظلام من الريبة، ولا سيما اذا كان الجديد بالغاً فى الغرابة، شديد المناقضة للمعروف، وقد تكون بساطته سبباً لالتهامه، وتعقده شفيحاً له الى قلوب الناس وعقولهم.

لم يجزع «كربنتر» للذى لقي من جمود القوم، وأخذ سبيله، فبنى صندوقاً أشبه شىء بناووس الموتى، وأغرى قوما يؤمنون بالتضحية فى سبيل الخير بالدخول فيه، فاستطاع بالكهربية أن يرفع درجة حرارتهم، ولم يلبث قليلا حتى وجد أنه بضغط زر أو ادارة عقرب يستطيع أن يتحكم فى حرارة المريض رفعا أو خفضا مقلدا بذلك حى الملاريا، ولم يلبث أن ذهب هذا العلاج بجنون ثلثى المرضى الذين عالجههم. ولكنه كان علاجا مؤلما شديدا لوطأة، وهو فوق ذلك لا يؤتمن، لأن المريض أثناء تصبب عرقا يتجمع فتتركز فيه الطاقة الكهربائية، فيحدث من هذا تفرغ ينشأ عنه شرر وبرق يحرق جسد المريض، ولعل جنون المرضى فى الاحوال المذكورة كان رحمة، فلولا خوفوا الالم ونظروا فى العاقبة فاحجموا لو أن تجربة «وتى» وقفت عند هذا الحد لما قدر لها النجاح، ولكانت طريقة نفعتها للعلم والتاريخ فحسب، ولظل الطبيب الى

الحى من قديم الزمان عرض مخوف وطارق مرهوب، وكثيرا ما كانت رسول الموت وقائد الحى تحدور كبه الى وادى الفناء. ولكن فى هذه الايام القرية الماضية نشأت فكرة أخذت تحل محلا ذا بال فى رموس البحات من الاطباء، أو فى رموس القليل منهم الذين لا تزعمهم غرابة الخاطر، ولا يصرفهم عن الامر خروجه عن المألوف. ومحصول هذه الفكرة أن الحى ذلك العدو القديم للحياة قد تنقلب، أو يمكن تأليفها وقلبها الى صديق نصير، فبدل أن تكون عوناً على الداء، تصبح عوناً على الشفاء، فى بعض الامراض التى عجز عنها الطب وحار فيها الاطباء.

وحكاية هذه الفكرة بسيطة بقدر غرابتها، ومنشؤها تافه بالرغم من خطورتها، وهى فى ذلك جرت على سنة جرى عليها كثير من المستكشفات التى غيرت من سطح الارض، وتحكمت فى مستقبل الانسان. ذلك انه منذ خمسة أعوام فى معامل الكهربية كبيرة مشهورة لاحظ مديرها المستر «وتى» ان المهندسين الذين كانوا يمكنون فى مجال الكهربية الاستاتيكية لنقلات الراديو ذى الذبذبات العالية، ولوزن قليل. يحترقون وترفع فعلا درجة حرارتهم. وأذاع المدير فى تقريره هذه الحقيقة، ولكنها لم تسترع اهتمام أحد فى عالم الطب. ولحسن الطالع لم يكن «وتى» طبيبا فلم يأبه لهذا الخذلان، وكان يهوى الحقيقة انى وجدها وكيف وجدها، وكان واسع الاطلاع كثير القراءة، فذكر أنه قرأ مرة أن العالم النمساوى الاستاذ «وجنار ياوديج» شفى عدة أشخاص مجذومين مشلولين من أثر الجذام المعروف بالزهرى بأن أصابهم عامدا بداء الملاريا، وذكر أن هذا الحادث أثار مناقشات حارة بين رجال الطب فى أوربا، ثارت فى سبب هذا الشفاء أهو الملاريا أم ظروف عارضة لا علاقة لها؟ وانتهى النقاش الى غير خاتمة

الزهرى كان أصاب عينه فلم يكده يفرق بهما بين نور النهار وظلمة الليل، حم تسع مرات فارتد اليه بصره كما كان . وعولج اثنا عشر مريضاً بمن شل الزهرى أجسامهم وذهب بعقولهم فعاد اليهم جميعاً صوابهم الا واحداً . وعولج آخرون ظاهرهم الصحة وفي دماهم خبت المرض فظهروا بعد الحى من الداء الدفين النائم الذى قد يستيقظ يوماً من أيام العمر فيودى صاحبه بعد أن يذيقه ألوان الشقاء وتتجه الأبحاث فى الوقت الحاضر الى نحو مرض الزهرى وهو فى أدواره الأولى قبل ان يستقر الميكروب فى جثمان المريض ويتغلغل فيه الى حيث أصول الحياة ومنابتها ، وقد لا يمتضى عقد من الزمان حتى يمكن تأمين ملايين البشر من هذا البلاء الذى لا تزيد الأيام الا انتشاراً ، ففى أمريكا وحدها نحو من عشرة ملايين مسهم هذا الوباء ، اما بالعدوى واما بالوراثة . وفى مصر يفك الداء فى ذوى الخطايا والأبرياء على السواء ، وهو فى مأمن من الاحصاء وسوف تقوم دون انتشار هذا الجهاز الجديد عقبات ، منها انه غالى الثمن فليس فى استطاعة كل مطبب حيازته ، ومنها انه معقد ككل جهاز فى أول نشأته ، ومنها أن التطبيب به ليس من الأمور اليسيرة الا فى أيد خبيرة قديرة ، وبقوامة بمرضات لبقات صبورات تدرين خصيصاً لهذا العلاج الجديد . وهى كلها عقبات هينات عرفت حيلة الانسان كيف تتخطى الألوف من أمثالها ، وانا لما تأتى به السنون لمرتبون .

العمدة فى اخبار هذا المقال الاستاذ بول دى كرويف

الابد يعالج هذا الداء بالزرنينخ ، ذلك العقار السام الذى لا تؤدى القناطير منه الى شفاء تام لاشبهة فيه . ولكن فى يوم شات مثلج من يناير عام ١٩٣١ بالولايات المتحدة بلغ رجلا من العلماء ما كان من أمر التجربة ، ففكر فخال لساعته أنه لو صنع خزانة على مثال الناووس وأمر فيها تياراً من الهواء الساخن بقدر ليجرب ذلك العرق المتساقط من المرضى فحماهم خطر الحريق . وبعد عشرة أشهر كان هذا العالم مع رفقة آخرين أثروا جميعاً ستر أمرهم الى حين قد أتموا الخزانة فى حجرة من مستشفى متداع يبقعة بغرب الولايات لا تسمى . وكان فاتحة أعمالهم أن وضعوا فيها ضحية من ضحايا الزهرى — ولم تكن الخزانة تهبأت للهواء الساخن يمر فيها — ولكن الرجل كان فى المرحلة الاخيرة من المرض يعانى كربه فلم يبال أحيا خرج من الخزانة أم ميتاً ، ولعله رأى فيها وسيلة انتحار أضمره لاتصم ذويه من بعده ، واليوم هذا الرجل حى يرزق ان كان يشكو شيئاً فذلك أنه لا يكتسب من عمل يومه بمقدار ما يجب وأدخل الهواء فى الخزانة على درجة ٥٠ مئوية وكانت هذه الحرارة تظن كافية لتجفيف قطرات العرق المتجمعة على اجسام المرضى ، ولكن هذا الظن لم يتحقق كله ، وعلى رغم ذلك جرى العمل على ما رسم بفضل مهندس شاب مخلص قيم على جهاز الهواء ، وبمرضات صبورات كن يبعثن من لطفهن وأوثقتهن وحنانهن الامل والرجاء ، فى قلوب المرضى التعساء ، وهم فى الخزانة ، فى ألم من الداء وهول من الدواء . وفى ذات أحد من الأحاد اشتعلت النار بالخزانة فانقض فى نصف ساعة بناء عام ، فكنت لا ترى الا ركاماً من لحم ورماد وأنايب منصهرة وأسلاك ملتوية ، والى جانب هذا الخطام المهندس الفتى والمرضات بعيون شاخصة حجبت أبصارها الدموع لم تستطع النار ولا الدمار اللاحق أن يضعف من همة تلك الرفقة الكريمة فى صراعها فى سبيل الخير . فلم يمض قليل من الزمن حتى أقاموا خزانة جديدة أقرب الى الغرض وأكثر إراحة للمرضى ، وقد يكون بعض النفع من البلاء ، وجاءت النقالة بعد النقالة تفرغ فى الخزانة الجديدة حمولتها من أجسام أهلكتها الجذام وأعقابها ، وما لبث الكثير منهم ان خرج من المستشفى على رجله يسعى كالناس يحذوه رجاء جديد فى حياة جديدة . من ذلك شاب بلغ الزهرى الى أعصابه وشرابته فلم يكن يستطيع الحراك ولا اطعام نفسه . حم فى الخزانة ثلاث مرات كل مرة خمس ساعات فاستطاع بعد ذلك أن ينال فيه بيده . وبعد الحى الثامنة استطاع أن يقف لأول مرة على قدمين مرتعتين ، وذلك بعد عام من بدء العلاج ، وهو الآن يزاحم الأحياء بالمناكب فى الطرقات يسعى الى رزقه سعيهم الى أرزاقهم . ومن ذلك طفل فى التاسعة من عمره جاءت تقوده أمه لأن

الصحة والقوة

وجسم عجب وعقل يهتجى للنجاح

الغفافة . السمنة . قصر القامة . العادة السيئة . الاضطهاد
الضعف لتتالى . الإنسان . ضعف المعدة . القلب . الصدأ
الأعصاب . تقوس الأربص . النحس . ضعف الذاكرة . ولادة
قد لا تقضى النفس وكل الأمراض المزمنة والعصبية والعمالية
يمكن علاجها فى المنزل علاجاً سريعاً أكيداً بتمارين خاصة .

كل شيء مشروح

كتاب الجسم الكامل وكتاب العقل الكامل

١٠٠ صفحة بجائز فقط ١٠ مليارات طرايع برسته للبريد
(قسبه مجاوب في الخارج) غير الكتاب الذى يطلبه واكتب باسم

محمد فائق الجوهري

مدير معهد التربية البدنية والعقلية
١١ شارع سنجر السورى فاروق مصر
تليفون ٥٠٣٥٩

القصص

كلبتي (بلوتا)

بقلم الاديب حسين شوقي

من المظنون ان العبقريه لاتغيب طويلا عن (كرمة ابن هاني) فان البواكير التي تنفتح عنها قريحه حسين شوقي في الشعر والقصص لابد أن تذكرها بمهبطها الاول ومآلفها القديم ، ولعلك وأجد في هذه القصة الساذجة من رقة الحديث وخفة الاسلوب ما يبعث الأمل في هذا الظن .

اذا سقت اليك الحديث الآن عن كلبتي (بلوتا) فانما هي حجة أصطنعها لأذكر فضلا من عهد الطفولة اللذيذة التي تنعش ذكراها النفس كأنما هي على حد تعبير المصريين القدماء : مكان رطب ظليل في يوم قيظ لافح ..

(بلوتا) كلبة اسبانية ، حصلنا عليها في برشلونة أثناء المنفى ، على سبيل الهدية .. وكان صاحبها من رجال السلك السياسي اضطرت له المهنة أن يغادر اسبانيا الى بلد آخر بعيد ، وكان يخشى ما تجره اليه بلوتا من متاعب أثناء الطريق ، فرأى أن يهديها لنا ..

قدمتنا بلوتا بعد ظهر يوم من أيام الشتاء ضاح جميل ، وكنا مجتمعين في الحديقة ننظر ذلك العضو الجديد في أسرتنا !

حقاً ! ما كان أجمل بلوتا بشعرها الأبيض الناصع ذي اللقائف المتعددة ، لأنها كانت من النوع الذي يشبه الخراف في فروته .. وكان شعرها مقصوفا على شكل يحاكي لبدة الأسد ، أرسلوه الى آخر الصدر ثم حلقوا النصف الباقي بالموسى .. وكان في عنقها طوق أحمر يبدو احمراره بين الحصل المنكدسة من تلك الفرواة القطنية .. وكانت بلوتا في تلك اللحظة تمشي الهويني في خيلاء وتيه كأنها تطلب منا أن نتأمل حسننها في أنأة ، أو ربما لم يكن في استطاعة المسكين أن تمشي أسرع من ذلك لبدة جسمها .. وقد سميت من أجل هذا بلوتا أي الكرة ..

وألفت بلوتا عشرتنا في أقصر مدة ، حتى كانت تضايقنا بهذه الألفة .. اذ لم يعد في استطاعتنا أن نذهب الى أي مكان بدونها وكان في احدى ضواحي برشلونه متنزه جميل تتوسطه بحيرة

حفت بالأشجار الكثيفة الملتفة فكنا نقصد هذا المكان في أيام الصيف فتتغدى على ضفاف البحيرة ، فكانت بلوتا ترافقنا الى هذا المكان .. بل كانت تتقدمنا اليه في المسير .. ، فإذا ما شاهدت الماء جن جنوبها فتلقى بنفسها في البحيرة وتظل تسبح طول النهار رائحة غادية في عظمة وأبهة كأنما هي مدرعة تختال فوق عباب الأطلنطيقا فإذا دعوناها الى الانصراف أبت مغادرة الماء ، فكان لابد من الاحتيال عليها لاجراجها منه ، وكانت أنجع الحيل معها ان نلوح اليها من الشاطئ بقطعة من السكر ، لأنها كانت مولعة بأكله . فإذا خرجت لتلتمهم قبضنا عليها بسرعة !

لشد ما كانت بلوتا تعبد الماء ! ، انها لتحملني على ان أصدق الرأي القائل بتقمص الأرواح ! فليت شعري في أي نوع من السمك قد حلت روح بلوتا من قبل ياترى ؟

الفت بلوتا كلاب الحى كذلك ، حتى كان لها من بينهن العشاق الكثر .. لأن كلاب الاسبان كلاب الشرق يملن أيضا الى الأجسام البضة !

وإذا كان لبلوتا « كما تقدم » شكل الأسد ، فلم تكن لها أبدا شجاعته ، فانها كانت تولى الأدبار عند ما يحتدم الشجار بين عشاقها (من أجلها) وتعود فتختبئ تحت سريري ..

والأمر الغريب ان بلوتا كانت على علاقة حسنة حتى مع القطط ! كانت مثال التسامح صادقة الايمان بمبادئ لوكارنو السلية !

ولما كانت بلوتا بدينة الجسم فقد عولت ذات يوم على ان أجرب على جسمها التمارين الرياضية لاخفف من شحمها المنكدس ، فكنت في صباح كل يوم أطرحها على الأرض ثم أشد يديها الى الخلف ، ورجليها الى الأمام .. مرارا عديدة .. حتى تئن المسكين من التعب والألم وكلما كان والدى يرانى منهمكا في ذلك ، كان يلومنى على عملي صائحا ، ما أقسى طبيعة الطفل ! أما أنا فكنت أفعل هذا لأتقم لنفسى على حساب بلوتا المسكين ، بما كنت أعانيه من الشدة في التمارين الرياضية بمدرستى من أستاذها الألماني .

ولشد ما كانت بلوتا ذكية أيضا !

كانت لها حجرة نوم تحت السلم طولها متران في مثلهما عرضا .. وكانت الخادم تأتي كل ليلة الى الصالون حوالى الساعة العاشرة فتأخذها من بيننا لتذهب بها الى تلك الحجرة فتغطها باللحاف ، لان ليالى برشلونه الشتوية قارسة البرد ، فاذا أبطأت الخادم في بعض الليالى في الحضور ، كانت بلوتا تذهب بنفسها الى حجرة نومها ثم تعود الى الصالون وفي فيها غطاؤها ، وتظل منتظرة على هذه الحال حتى تحضر الخادمة فترافقها الى مضجعها !

وكانت بلوتا تعبد الشكولاته ! واليك ما صنعت في ذات مرة : كنت أنا أيضا أحب الشكولاته .. فكنت أشتري منها كل يوم - لدى عودتي من المدرسة - بمائتة خمسة قروش ، لان مرتبي لم يكن يسمح لي وقتئذ والأسف ان أشتري بأكثر من هذه القيمة .. وكنت آكلها سرا حتى لا يشاركني فيها أحد .. ولكن بلوتا بذكاها الفطري العجيب كانت تدرك الامر فتقف أمامي حينما تعرف ان القرطاس بجبي ، ولا تبرح مكانها حتى أناولها قطعة منه .. ففي ذات يوم كنت جالسا الى مكتبي ، عاكفا على دراستي ولم

أعطيها في تلك المرة حصتها من الشكولاته ، فلم يكن منها إلا ان دست يدها خلسة في جبي فسرقت القرطاس وذهبت دون ان اشعر ، فلما وضعت يدي في جبي لاخرج قطعة من القرطاس لم أجده ، ولكنني عرفت في الحال من هو السارق ، فاسرعت الى السرير حيث اعتادت بلوتا ان تحتجى لا تقذ ما يمكن إنقاذه ، فوجدتها وبالإسفاف قد ألهمته كله ! .. وكانت الشكولاته قد لوئت ذقتها .. لقد غاظتني في ذلك اليوم لانه كان يوم عطلة ولم يكن في استطاعتي ان اشتري قرطاسا آخر .. فلما انتهت الحرب الكبرى ، وسمح لنا بالعودة الى مصر ، اردنا ان نتعجل الرجوع الى الوطن المحبوب فاجمعنا الرأي على أن نركب أول باخرة تغادر أوروبا ، لذلك قصدنا البندقية لنلحق باخرة إيطالية كانت تنأهب للسفر بعد أيام قلائل ، ولما كان السفر طويلا شاقا على السكة الحديدية من برشلونه الى البندقية ، فقد تركنا بلوتا عند بعض الاصدقاء في برشلونه ليرسلها لنا في مصر على الباخرة التي تسافر من برشلونه مباشرة الى بورسعيد بعد شهر من ذلك التاريخ وما كان أسعدنا وأسرنا حين جاءتنا برقية تنبئنا بوصول بلوتا الى بورسعيد ! هرع في مساء

ذلك اليوم الى محطة القاهرة والدى وأخي وأنا لاستقبالها .. فلما وصل القطار اذا بنا نجد بلوتا سوداء اللون كأنها أحد عمال المناجم ، لأن المسكينة قطعت المرحلة ما بين بورسعيد والقاهرة في عربة الفحم ! .. عرفتنا بلوتا في الحال .. وكما كان سرورها عظيما ! فكانت تارة تقبل ايدينا ، وطورا تجذب أرديتنا ، ومرة أخرى تقفز في الهواء ، على رغم بدانتها .. اما ركاب القطار فكانوا ينظرون اليها دهشين .. ولما عدنا بها الى المنزل استطاعت بلوتا بقوة شمها الحاد ان تعرف حجرة والدي فقفزت الى سريرها بفحمها وغبارها فايقظتها ، ولم تنج بلوتا في تلك الليلة من عقاب محم الا لفرط اشتياقنا اليها بعد غيابها الطويلة ! ولكن مسرات هذا العالم والأسفاه قصيرة المدى ! كما يقول سرفانتس .. فانه لم تمض على بلوتا أشهر قليلة في مصر حتى مرضت مرضا شديدا اضطرنا الى قتلها كي تستريح مما كانت تكابد من عذاب وألم ثم دفناها بالحديقة تحت الشجرة الكبيرة بالقرب من السور الخلفي .. ثم حفرت اسمها وتاريخ ميلادها ووفاتها على شاهد من المرمر نصبته على قبرها . ومالك تستكثر على بلوتا الوفاء الذكية هذا الاكرام وفي الكلاب ناس كما في الناس كلاب ؟



بلياس ومليزاند

للفيلسوف البلجيكي موريس ماترلنك

ترجمة الاستاذ حسن صادق

أشخاص القصة :

١ - إركل ملك ألموند

٢ - جنيفيف أم بلياس وجولو

٣ - بلياس حفيد إركل

٤ - جولو

٥ - مليزاند

٦ - إينبولد الصغير ولد جولو من زوجته الاولى

٧ - طيب

الفصل الأول

المنظر الأول :

(غابة في وسطها ينبوع ماء بعيد الغور تجلس على حافته مليزاند — يدخل جولو)

جولو — أقحمنى النزق تيه الغابة الكثيفة ، وأخاف أن يعينى الخروج منها ... الله يعلم الى أى مكان قادنى الجواد وهو ضال فى جموحه ! وقد جمعت فرعى فى يمنى وقدمى : ثم صببته فى جروح قاتلة تفتحت فى جسمه الملتهب ، ولكنه أصر على الجموح وأسرف فى الغضب ، ولما ضللت الطريق أفلت منى وأمعن فى الحرب . فقدت الجواد و يقينى أنى هالك فى هذا المكان الموحش ... ستأكل الطير من رأسى وتلغ الضواري فى دمي ، ولن يعرف كلاي السيل الى ، سأعود الى البيت راجلا اذا هتديت الى الطريق ... ما هذا ؟ أخير ماء أسمع أم هنين بكاء ؟ آوه ! من هذا الراقد على العشب ، المثل على صفحة الماء الهادى ؟ فتاة على حافة الينبوع تنوح ! (يسعل) إنها لا تسمع صوتى ولا أرى وجهها (يقترب من مليزاند ويلبس كنفها) لم تبكين ؟ (تنتفض مليزاند وتنهض مذعورة تريد الحرب) . خلى عنك الفزع فلست مardاً وما أنا من الشياطين . لماذا تبكين وحدك فى هذا المكان الموحش ؟

مليزاند — ابتعد عني ! لا تقربني !

جولو — لا تخافى ولا تجزعى . لن يصيبك منى سوء ... آوه !

ما أجملك !

مليزاند — إليك عني أو ألقى بنفسى فى الماء !

جولو — إنى بعيد ، بينى وبينك خطوة . أترينى ؟ إنى باق فى مكانى أتحمّل على هذه الشجرة . لا تحزننى ولا تخافى . هل أصابك مكروه أم رماك أحد بشر ؟

مليزاند — آوه ! نعم نعم ! (ثم تنتهد تنهدة عميقة)

جولو — ومن الذى أشقاك ؟

مليزاند — كل الناس أشرار

جولو — وماذا أصابك ؟

مليزاند — لأأريد أن أبوح به ! لأستطيع التعبير عنه !

جولو — كفكفى دموعك . أين مقامك ؟

مليزاند — لقد هربت ... نعم هربت !

جولو — أدركت ذلك . ولكن من أين هربت ؟

مليزاند — ضللت الطريق ... واصطلم على الخوف والحيرة

فى سكون الغابة . لست من أهل هذا البلد ، ولم أولد حيث ترانى

جولو — من أى بلد تكونين ؟ وأين مولدك ؟

مليزاند — من بلد بعيد المزار

جولو — ما هذا الشيء الذى يشع فى جوف الماء بريقا ؟

مليزاند — أين هو ؟ ... آه ! إنه التاج الذى أعطانى إياه ... لقد سقط فى الماء أثناء بكائى

جولو — تاج ؟ ! من الذى أهدى اليك تاجا ؟ سأبذل جهدى فى انتشاله

مليزاند — لا تفعل ، لم أعد أشتهي . تلاشت رغبتي فيه . متمناى الساعة أن أموت

جولو — هين على انتشاله فانه من حيلتي قريب

مليزاند — ليس لى رغبة فيه . إذا انتشلته ، ألقىت نفسى فى مكانه

جولو — اطمئنى بالا وقرى عينا .. سأنزله على مشيتك ، وأتركه فى مستقره ، فى استطاعتى مع ذلك إخراجه من الماء بلا عناء !

لانه رائع بديع ! هل مضى على هروبك زمن طويل ؟

مليزاند — نعم نعم ... من أنت ؟

جولو — الأمير جولو حفيد إركل ملك ألموند الشيخ

مليزاند — آوه ! بدأ الشيب يدب فى فوديك !

جولو — بعض شعرات بيضاء نثرها الزمن على رأسى

مليزاند — وعلى لحيتك أيضا . لماذا تحرق فى هكذا ؟

جولو — أرنا الى عينيك ... انك لا تغمضينهما لحظة واحدة !

مليزاند — أغمضهما فى الليل .

جولو — مالى أرى الحيرة فى لحاظك .

مليزاند — أمارد أنت ؟

ولو أننا لسنا من صلب واحد ، وإنما الذى يشغل بالى ويقتض مضجعى هو أمر العودة إلى أحضانكم والعيش بينكم كما كنت قبل الزواج . ولذلك أكتب اليك ضارعا أن تعبد لى الطريق . أعلم علم اليقين أن أمى تغفو عنى فرحة مستبشرة . ولكنى أخاف إركل على الرغم من طيبة قلبه وسراوة خلقه ، لا ، هدمت بهذا الزواج صروح أمله وخيبت فجأة كل خططه السياسية . وأخوف ما أخافه ألا يشفع لى إلى حكمته جمال مليزاند وسحرها الحى ، فإذا قبل بعد سعيك الجميل أن يستقبلها فى بيته كما يستقبل أبنته ، فأشعل مصباحا بعد أيام ثلاثة وضعه فى أعلى البرج المطل على البحر ، حتى أستطيع رؤيته من السفينة التى أقيم فيها مع زوجى . وإن رفض رجاءك فأنى ذاهب إلى نية بعيدة وإن ترونى عوض . كيف ترى ؟

إركل — وماذا أقول ؟ إن ما حدث يبدو لنا غريبا لأننا لانرى دائما إلا عكس ما يهيمه القدر . . . كان فى كل حين يتبع نصيحى ، وقد اعتقدت أن زواجه من الأميرة (إرسول) يهيم له أسباب السعادة ، ولذلك تقدمت إليه أن يذهب إلى أهلها ويخطبها إليهم ! لم يكن فى مقدوره أن يعيش منفردا ، وقد ثقلت عليه الوحدة بعد موت زوجته ، وحزت فى جلباب نفسه الحزينة . لو تم هذا الزواج الذى كنت أرغب فيه ، لوضع حدا لحروب طويلة وأحقاد قديمة ! لم يشأ ذلك . فليكن الأمر كما أراد . إنى لم أجعل من نفسى قط عقبة تعترض حظ انسان ، وهو يعرف مستقبله أحسن منى . وربما أنتج عمله نفعاً لاندركه اليوم .

جنيفيف — كان فى كل أدوار حياته حازما رزينا بعيد النظر ، وقد وقف كل حياته بعد موت زوجته على ولده الصغير (رانيولد) لقد نسى كل شيء . . . والآن ماذا نصنع ؟

(يتبع)

(يدخل بلياس)



جولو — إنى بشر مثلك .
مليزاند — لم وطئت هذا المكان ؟
جولو — أجعل ذلك الجهل كله . كنت أصيد فى الغابة فرأيت خنزيرا وحشيا فانطلقت وراءه بجوady . ولكنى أخطأت الصيد وضللت الطريق . . . ماء الشباب يتفرق فى وجهك ، ماعمرى ؟
مليزاند — بدأت أشعر ببرودة الهواء !
جولو — أنا تين معى ؟
مليزاند — كلا سابقى هنا .
جولو — من ضعف الرأى أن تبقى وحدك فى وحشة الغابة ولن تستطيع قضاء الليل فى سكون يروى القلب ويفزع النفس . . . ما اسمك ؟

مليزاند — مليزاند .
جولو — تعالى نخرج من الغابة .
مليزاند — إنى باقية .
جولو — ستخافين وحدك ظلمة الليل . ومن يدري . . . ربما تكون الغابة ذات وحوش .
... الليل كله ، وبمفردك ؟ ! ألقى عن عنادك وتفهمى قولى .
هاتى يدك .
مليزاند — لا تلبسنى .
جولو — لن أمسك فلا تصيحى . سيكون الليل حالك السواد شديد البرد . تعالى معى
مليزاند — إلى أين أنت ذاهب ؟
جولو — لا أدري . . . إنى ضال مثلك (يخرجان) .
المنظر الثانى :

(ردهة فى القصر . إركل وجنيفيف جالسان يتحدثان)

جنيفيف — سأتلو عليك ما كتبه إلى أخيه بلياس : « وجدتها ذات يوم عند الغبش تسكب الدمع الغزير على حافة ينبوع فى الغابة ، إنى أجعل عمرها وأصلها ولا أعرف لهاوطنا . ولا أجرؤ على سؤالها لأنها ناية الطبع يستقر فى نفسها الذعر الشديد ، ويقينى أنها عانت أمرا أدخل على نفسها الاضطراب والهلع . وإذا سئلت عما حدث لها ، استخرطت فى البكاء دفعة واحدة وملاأت الجو بالتهنيدات العميقة التى تفرض على السائل الصمت والخشوع . وقد مضى على زواجى منها ستة أشهر ، ولا أعرف اليوم من أمرها أكثر مما عرفت فى ساعة اللقاء الأولى . ولكنى آمل أن أصل إلى ما أريد بعد وقت وجيز . وليس هذا ما يهمنى يا بلياس ، يامن أعزه أكثر من شقيق

لغو الصيف

بقية المنشور على صفحة ٦

ولكن هذا البؤس كله ليس شيئا بالقياس الى بؤس آخر أشد وامض ، وهو هذا الثناء المتكلف ، وهذا الاكبار المصنوع ، وهذه الخطب والقصائد التي لا يراد بها وجه الله ، ولا وجه من قِلت فيه ، وانما يراد بها وجه الذين يصرفون السياسة ويسرون أمور الناس كما يحبون ، والى حيث يحبون ، فقد كان حافظ وما زال بائسا ، وكان حافظ وما زال شقيا ، ولكن شقاء حافظ سعادة ، وبؤس حافظ نعيم ، وما كان أحق شوقى رحمه الله واجدره بأن يشارك حافظا في هذا البؤس المجيد ، فقد كان شوقى كما كان حافظ مجدا لمصر وللشرق وللادب العربى ؛ ولكن السياسة استأثرت بشوقى فازدردته ازدردادا ، وعجزت عن ان تستأثر بحافظ ، وأى غرابة في هذا ؟ لقد كان شوقى رحمه الله هينا لنا رفيقا رقيقا ، وكانت في حافظ صلابة الشعب وغلظته ، وخشونة الشعب وشدة

قالت وهى محزونة : ولكن بؤس حافظ مهما يكن مجيدا بالقياس اليه فهو عار على مصر ، ومن حق مصر لنفسها ان تكشف هذا العار ، وكانا قد بلغا ناديا من هذه الاندية التي يكون فيها الرقص مع المساء والتي يؤخذ فيها الشاى ، فاتخذنا مكانا منزويا فيه دون ان يتفقا على ذلك ، انما هى رغبتهما فى اتصال الحديث ، وزهدهما فى هذا المتاع الذى يتهالك عليه الناس ، ولم ينقطع حديثهما وقناطويلا ، انما هى لحظة طلبا فيها الى الخادم ما كانا يريدان ، ثم اتصل بينهما الحديث ، ولكنه لم يمس أمير الشعراء ولا شاعر النيل . قال ومع ذلك فلم تسألينى عن مصر والمصريين وانت ترين مصر وأدباءها فى فرنسا كأحسن ماتحين ان تريهم ؟ قالت فى فرنسا ؟ واين ذاك ؟ قال ماذا تصنعين اذن منذ تركت السفينة ؟ ألا تقرئين ؟ قالت لا . قال بل تسكتين وقد كان ينبغى ان أفهم هذا ، ولعلنى قد فهمته حين رأيت تلك الصحف المنشورة على المائدة ، والتي اسرعت الى جمعها واخفائها حين رأيتى مقبلا عليك كأنك خفت أن أمد اليهايدا ، أو أن أختلس اليها نظرة ، قالت لا تقل هذا ولا تسرف فى التجنى ، فما كنت أستطيع ان أمضى فى الكتابة وقد أقبلت ، وما كان ينبغى لى أن أدع المائدة مختلطة كما كانت ، قال فاذا سألتك أن أقرأ بعض هذه الصحف التي كانت منشورة فهل تأذنين ؟ قالت هذا شىء آخر ، دعنا من هذه الصحف المنشورة فستقرأها يوما ما ، ولكن حدثنى أين وكيف أستطيع ان أرى مصر والمصريين فى فرنسا ؟ قال تستطيعين أن ترى مصر والمصريين فى فرنسا الآن ، وفى هذا المكان ، وعلى هذا النحو ، ثم أخرج لها صحيفة النوفيل ليتيرير ونشرها ، وقال انظرى ، فنظرت فدهشت فسكتت ، ثم قالت هذا غريب ! صفحة أدبية عن مصر لا يكاد يكتب فيها مصرى ! قال ولوترجم

رجل من الناس أى جيل من الأجيال ، تركتهم قوما كراما يكرمون آباءهم وامهاتهم ، ويؤثرون ابناءهم وبناتهم ، ويشفقون من الآلام ، ويسرعون الى اللذات ، ويكثررون القول ، ويقصدون فى العمل ، ويفرون من الدور ، ويستقرون فى الاندية ، ويطلقون الحوار فى الأدب والسياسة ، ويقرأون الصحف ويعبثون بكتابتها ... قالت ياله من سيل جاح لا يقف ولا يهدأ ولا يتند ، ولا يتخير ما ما يحمل ، ما عن هذا أسألك ، وما طلبت اليك ان تصورلى المصريين كما تراهم انت بهذا الرأى المظلم القاتم ، الذى لا يعجب بشىء لا يرضى عن شىء ، بل ينكر كل شىء ، انما سألتك ... قال ياله من جدول هادى . متشد ، عذب ظريف ، لا يحمل غثاء ولا جنادل ، وانما هو صافى الصفحة نقى الأديم ، كله رضى وكله ابتهاج ، وكله أمل ، انما تسألينى عن الأدباء اليس هذا ما كنت تريدين ، قالت هو هذا ، ومتى رأيتى أتحدث اليك عن غير الأدباء ؟ قال فقد تركت الأدباء فى شغل شاغل وهم مقيم ، يقولون فيطيلون ، ويعملون فلا يبلون ، وكأنهم هذا القطار الذى بهم بالحركة فيكثر فيه الضجيج والعجيج والقعقة والاضطراب ، وهو ثابت فى مكانه لا يريم ، لأن الله لم يأذن له بالحركة بعد ، او لأن أداة من أيسر أدواته لم يتح لها ان تشترك فى العمل مع أخواتها ، قالت وما ذاك ؟ قال إنهم يذكرون حافظا ، فقد دار العام على وفاته ، ولم يصنع له أحد شيئا . فهم يلومون أنفسهم وهم يلومون غيرهم ، وهم يلومون مصر كلها ، يلومون الشعب لأنه قصر غير عامد ، ويلومون الحكومة لأنها تعمدت التقصير ، حتى إذا أسرفوا فى اللوم واعياهم الاسراف عزوا أنفسهم وعزوا الشعب الذى قصر عن غير عمد ، والحكومة التي قصرت عن عمد بأن حافظا كان أديبا حقا ، فلا غرابة فى ان تدركه حرفة الأدب . وقد كان حافظ رحمه الله حسن الحظ ، ميسرا له فى الأمر بالقياس الى زميله فى حرفة الادب منذ أكثر من الف سنة . فانت تذكرين أنها قد أدركت ابن المعتز فانزعته من الخلافة ، ولما يقيم فيها يوما ولم يكفها أن تنزع من الخلافة ، فانزعته من الحياة على شر الاحوال وأشدّها نكرا ، اما حافظ فقد كان بائسا فى حياته لم يعرف النعيم ، والبؤس أيسر من الخلع ، والبؤس الدائم ايسر من البؤس الطارئ ، بعد طول النعمة وحسن الحال ، وقد مات حافظ على فراشه ، والموت الهادى أيسر من الموت العنيف ، وحافظ بائس بعد موته لم يجتمع له الناس ، ولم تمتلئ له الأوبرا ، ولم تلق فيه الخطب المدبجة ، ولا القصائد المنمقة . وقبر حافظ مجهول أو كالمجهول

وهل يكون النور الا حيث أنت يا آنسة ؟ قالت مغیظة : هل تعلم انك تثقل على احيانا بهذا العبث السخيف ؟ قال ما أردت هذا ولا فكرت فيه ، وما أرى اني الام ان كنت ثقیلا ، فلعل الثقل أن يكون بعض طبعی ؟ فخذیني يا أنا ، قالت فان لم يعجبني منك هذا ، قال فاحتمليه على أي حال ، فلعل عندی ما يهون عليك احتماله ، اتریدین أن تطلي الإقامة في نيس ؟ قالت سأقيم اياما ، وانت ؟ قال سأقيم فيها ما أقمت ان لم يثقل عليك ذلك ، وسنرتحل معا حتى اذا كنا في بعض الطريق تخلفت أنت في مدينتك الجامعية الصغيرة فاصطليت فيها حرا الصيف ونار العلم والآدب ، ومضيت انا الى باريس ، ومن يدرى ، لعل نار الادب والعلم أن تستهويني فاتخلف وقتا طويلا أو قصيرا ، وهل أنا فراشة تستهويها النار ، ولا تكره أن تحترق بها ؟ قالت في شيء من التفكير : انت مقيم في نيس ما أقمت ، مرتحل عن نيس اذا ارتحلت عنها ، متخلف حين اتخلف ، مصطل للنار التي أريد أن اصطلحها . قال هذه خطة مرسومة ، وكيف تريدين يا آنسة أن تغیری ما رسم القضاء ؟ طه حسين

« محمد — بقية المنشور على صفحة ٣٢ »

فلقد أبى الله سيدي ومولاي وخالقي الا أن يصحبني في هذه الوحدة « حليلة » رأيت الله يابني ؟ « محمد » وأنت لا تبصرينه ؟ انه غير بعيد عني ، ولا يبرح يترأى لي عند الينبوع الدافق الهادر ، وتحت السريحة الغناء ، وفي الظل الرقيق البهي .. لقد توافي الى من عليائه فاحسست حرارة حبه ، وشق صدرى وانتزع من قلبي حوابعه حتى يتاح لي ان أفهم معنى حبه ! « حليلة » : ولكنك تحلم ! اذن كيف يقدر لك ان تحيا وقد شق الله صدرك ؟

« محمد » سأصلي صلاتي لله فلعله يضيء عقلك فلا يبدولك حديثي غامضا مبهما

« حليلة » : وأى اله هذا الذي تعبد ؟ أهو اللات أم هو هبل ؟ « محمد » : أى شعبي التعس ! انك لتضل السبيل وتنزع الى الحجارة والأصلاذ فتجعل منها الها بعيد ! ولكنني مازلت أحبك على شديد تعسك ، وهذا الحب الشديد العنيف هو الذي يحفزني الى مصارحتك بان هذه الحجارة التي تصلي لها لا تستطيع أن تستمع لك ، وليس في ميسورها أن تفتح لك ذراعها

« حليلة » : أين يسكن الهك ؟

« محمد » : انه في كل مكان يا حليلة ! ..

ما فيها للبصريين لرأوا أنفسهم كما يرونها في المرأة الصافية الناصعة ، اليس قد صور لهم كاتب أمير شعراهم العظيم تصويرا لا يصفه من قريب ولا من بعيد ؟ اليس قد زعم هذا الكاتب ان قد كان لا مير الشعراء خصوم كلهم بغض ؟ اليس قد أذاع هذا الكاتب بين الفرنسيين والاوربيين الذين يقرأون هذه الصحيفة صورة عن شاعر مصر وعن انصاره وخصومه لاثلاثم رأى مصر ولا حاجتها ، وانما ثلاثم رأى السياسة القائمة وحاجة السياسة القائمة ، ؟ قالت سأقرأ هذا الفصل ، ولكن انظر ، قال وما تريدين أن أنظر ؟ اتظنين اني لم أقرأ هذه الصفحة قبل الآن ؟ ماذا تكرين ؟ فصل لصديقنا الاستاذ انطون الجميل عن المجمع اللغوي الملكي ، أى غرابة في هذا ؟ قالت وهي تضحك ضحكا حزينا ، الغرابة أن يعلن عن هذا المجمع في فرنسا ولما يوجد في مصر بعد ، قال لم يوجد الآن فسيوجد بعد عام ! قالت فقد كنت أحب من صديقنا ، بل كنت أحب لصديقنا أن ينتظر حتى يوجد هذا المجمع بالفعل قبل أن يكتب عنه فيطيل ، فقد أرى أن فصله غير قصير ، وما عسى أن يكتب بعد أن يوجد المجمع ؟ قال ليس على صديقنا بأس من أن يكتب عن مجمع ان لم يوجد بالفعل فهو موجود بالقوة ، ولا سيما اذا طلبت اليه الكتابة وأثقل عليه في الطلب ، وليس اسراعه الى الكتابة في شيء هو الى الوهم اقرب منه الى الخيال ، فضلا عن الحقيقة الواقعة هو الذي أنكره عليه او الومه فيه ، انما أنكر عليه فهمه للجامع اللغوية وتصويره لتاريخها عند العرب ، أترين الى اسواق الجاهليين ؟ لقد كانت مجامع لغوية عند الاستاذ انطون الجميل . اترين الى قصور الخلفاء ؟ لقد كانت مجامع لغوية عند الاستاذ انطون الجميل ، ثم اترين الى مدارس اللغة والنحو والادب في البصرة والكوفة وبغداد وفي حلب ودمشق والقاهرة وقرطبة ؟ لم تكن من المجامع اللغوية في شيء عند الاستاذ انطون الجميل .

هذا ! اترين ذلك ؟ قالت وأكثرمه أن يستجيب صديقنا لدعوة السياسة ، وان يرضى صديقنا لنفسه أن يضع الادب من السياسة هذا الموضوع ، وقد كنت ارى أنه يجب اخضاع السياسة للادب ، لا كتبني اليه ، قال لا تفعل ، فليس هو الآن في القاهرة ، انه يطوف في لبنان فانتظري حتى تعودى ويعود ، ثم خذى معه في هذا الحديث ، ولكن أقرئي هذا الفصل وفكرى فيه ، فهو فصل من فصول الصحف السيارة في مصر لا أكثر ولا أقل

ولكن حديثي اتریدین أن تطلي الإقامة في نيس ؟ قالت وانت حدثني كيف وقعت الى نيس وانت تقصد الى مدينة النور ؟ قال

الكتب

النجوم في مسالكها

أدب جديد

للأستاذ محمد عبد الواحد خلاف

كل عبارة يسطرها ، هو موسيقى الانسانية تتجاوب أصدائها في كل قلب ، ومن أجل ذلك كان الأدب رسالة عامة يفهمها الناس جميعا ويطربون لها ، فكيف التقى الأدب والعلم ؟

أن الثقافة الحديثة هي التي قربت بين المتباعدين ، وألفت بين المتنافرين ، فلقد أنتجت كثيرا من العلماء المتأدين ، أو الأدباء العالمين ، وقد وجد هؤلاء من حقائق العلم ما هو أعجب من أوهام الخيال ، وبصروا بعين العلم مشاهد تترد عنها العين غير العلمية كلفة لاتبلغ جمالها ولاندرك ما فيها من فته .

وسمعوا بأذن العلوم موسيقى رائعة دقيقة لاتصل الى الآذان غير العلمية ، ووصل العلم بين الماضي والحاضر ، والقريب والبعيد ، والحياة والفناء ، والمادة والطاقة

وسلك الكل في وحدة « كونية » نضاءت أمامها الوحدة « الانسانية » وطلع علينا أدب كوني اسمى وأروع وأبدع من الادب الانساني الضيق

حطم الأدباء العالمون الحواجز التي كانت تعزل العلم عن الجماهير ، وأسبغوا مواهبهم الأدبية على حقائق العلم فكسوها حلة فنانة قربتها للجماهير ، فكانت غذاء لعقولهم وشفاء لقلوبهم ...

وبين يدي مثل رائع لهذا الأدب العلمي هو كتاب « النجوم في مسالكها » الذي وضعه بالانجليزية العلامة السير جيمس جينز ، ونقله الى العربية صديقنا الدكتور احمد عبد السلام الكردي هو سياحة في الكون على أجنحة الخيال العلمي ، تعبرك ملايين السنين والأميال وتنقلك الى عوالمه . وتقف بك عند السيارات والكواكب ، وتحترق بك الشمس ، وتريك أسرار كل هذه العوالم وستنسى نفسك وأنت تسبح مع الكاتب كما نسيت نفسي ؛ ثم تؤوب منها كما عدت منها وقد امتلأت يقينا بجلال الله وعظمته ، وشعورا بقدرته وبالغ حكمته ، وسترى كما رأيت مبلغ غرور الانسان وهو ليس الا هباءة حقيرة في جزء حقير من الكون ! وتعجب كيف طوعت له نفسه أن يناصب العداء هذا الخالق العظيم الذي دبر هذا الكون الذي لاندرك مداه فأحكم تدبيره ومالي أقطع عليك بالوصف لذة تلك السياحة وأنت لا بد قارئها

ليطمئن دعاة الجديد من كتابنا الأدباء فلست بمقاسمهم فخر نصر أحرزوه ، ولا بمنازعهم فضل طريق شقوه ، وليطمئن أنصار القديم فلست بمنتقص تراثا عزيزا قدسوه ، ولا عائب جمالا فتنوا به وألفوه ، ولكني مطلعهم على واد جديد من أودية الأدب تلتقى عنده وجهاتهم ، ويمجدون فيه جميعا ما يقع غلتهم .

سيجد فيه عشاق المعاني المبتكرة منبعها خصبا ، لا يعوزهم معه امتداد في الخيال أوسع في التأمل أعمق في التفكير ، وسيجد فيه عشاق الصياغة البارة ، والأنغام الرنانة مشاهد سحرية تتجلى في وصفها بدائع صناعتهم ، وآفاقا خلاصة يطيب فيها ترديد أنغامهم ، ومسارح للجمال أشد استهواء وأروع تناسقا من كل مامر بخاطرهم ففيه مبعث التفكير ومهبط الوحي لمن كان عصى الابتكار ، يضنيه تلس الخيال الرائع ، ويجده أن بلد كل يوم جديدا ، وفيه ذخيرة الرأي ومادة الوصف لمن كان غنيا باللفظ والصياغة فقير المعاني هذا الأدب هو ما أسميه أدب العلم .

وقد يبدو غريبا امكان التزاوج بين العلم والأدب ، فقد الفنا أن نرى العلم سلسكا من الحقائق الجافة يؤلف بينها منطق صارم دقيق ، وألفنا لغة العلم مضغوطة جافة مشحونة بمصطلحات موضوعة تجعل بينها وبين الغريب عن العلم حجابا ، وألفنا الأسلوب العلمي محبوكا لا يكاد يفلت منه ما ينم عن كاتبه ، ولا يكاد يطل عليك من خلف عباراته روح انسانية تفيض عليه الحياة ، فهو جسم سليم الأعضاء تام التركيب ، ولكنه ميت لا روح فيه ، وهذا شرماضيق دائرة العلم وحصره في طائفة المشتغلين به .

والأدب ؟ لقد ألفنا الأدب متمردا على مقاييس المنطق الجافة يحمل رسالته للقلوب لا للعقول ، هو روح يفيض على كل مادة فيسبغ عليها حياة خالدة ، هو نفس الأدب مقطرة تشف من وراء

فوق ذلك قد ساهم بكتابته هذا في حركة التعريب الشاملة
بنصيب محمود .

والكتاب تاريخ دقيق لاربعين يوما من سنة ١٩١٤، تلك
السنة التي رفع فيها الستار عن أكبر مأساة شهدتها التاريخ، اذ
انطلقت صيحة الحرب العظمى تدوي في ارجاء العالم دويا
شديدا ، فارتج منها رجة عنيفة انحطت في أثرها دول وأنشئت
أخرى . ففيه تحليل للخطط الحربية التي رسمها الالمان
والفرنسيون ، فتشعر حين قراءته بالمهارة البارعة التي كانت تبدو
من قواد الفريقين ، فهي محاوراة طريفة بين الالمان والفرنسيين
على الحدود الغربية ، أقرب الى مباريات اللهو واللعب منها
الى أى شئ آخر : هذا يريد أن يأخذ خصمه على غرة ويحيط
بجناحيه أو يغزو قلبه ، وذلك يفسد عليه خطته بمهارة فائقة
تدعو الى الإعجاب

ويخيل اليك وأنت تقرأ الكتاب أنك بصدد رقعة
للشطرنج بين لاعبين ، يكيد كل واحد منهما للآخر وينصب
له الاحايل (ولكن لم تكن والأسفاه قطع ذلك الشطرنج من
خشب أو عاج ، وانما كانت أرواحا بشرية تحصد حصدا
بغير حساب)

الكتاب لذيممتع حقاً ، وجدير بكل ضابط وكل مهتم
بالتاريخ أن يقرأه ويقتنيه . ولغة العرب سلسلة ، فيها
كثير من الدقة في التعبير والشرح ، لولا بعض الاخطاء النحوية
التي نؤاخذ عليها ، وأظنها أكثر من هفوات يجوز أن تجتمع
في كتاب واحد

نذكر قايلا منها على سبيل المثال : في صفحة ٥٢ وردت
هذه العبارة : أسود الجنود روحا غريبة ، وصحتها روح
غريبة . وفي ص ٢٠٨ « لم يكن ذو دراسة ، وصوابها لم يكن
ذا دراسة . وأمثال هذه الاخطاء كثير في الكتاب نرجو
العرب أن يتداركها بالتصحيح في الطبعة الثانية ان
شاء الله ، كما نرجو أن يكون أكثر دقة في تعريب الاسماء
الجغرافية ، فيذكرها كما هي شائعة معروفة في الكتب العربية
ولا ينقلها حرفا بحرف ، فمثلا في صفحة ٣٨ ذكر مدينة باسل
وهي تنطق بال بحذف السين ، فذلك أكثر نقعا لقراء الكتاب
ز . ن . م

وواجد فيها ما وجدت ، وفوق ما وجدت ، ولقد وفق صديقي
« الكرداني » كل التوفيق في تعريب الكتاب لجاءت عباراته طلية
واضحة دقيقة ، ويبدو في كل صفحة من صفحاته مجهود في اللغة
ينها عليه الأستاذ المغرب كل التهنة

ولن ينقص من قيمة هذا المجهود الكبير تلك الحملة الظالمة التي
حملها كاتب مقنع في جريدة الاهرام على تعريب هذا الكتاب ،
وراح يتلس عثرة للعرب فلم يجد الا بضعة الفاظ عابها عليه
وهي مفخرة له

أن عبارة النقد تنم عن كاتبها وسوء نيته ، واني لأرجو أن يمر
بها المغرب وتمر بها لجنة التأليف والترجمة والنشر من الكرام ،
وسيجدون من انصاف القراء وتقديرهم لهذا الكتاب القيم ما يكفيهم
عناء الرد عليه

أكرر التهنة لصديقي « الكرداني » وأرتقب مع القراء
مجهودات أخرى له في الأدب العلمي الذي نفتقر اليه أشد افتقار .

oooooooooooo

أربعون يوما من عام ١٩١٤

تأليف الجنرال موريس

وترجمة الضابط محمد عبد الفتاح ابراهيم

تأني حركة الترجمة في مصر الا أن تكون قوية عنيفة
واسعة النطاق حتى تشمل كل نواحي الحياة وشتى ضروب
التفكير ، فهذه آيات الادب الغربي الرائعة ، والوان العلم
المختلفة تنقل الى اللغة العربية . ويطلعها المصريون فيشاطرون
العالم المتمدين علمه وأدبه ، حتى لتكاد العقلية المصرية أن
تدمج في العقلية الاوربية اندماجا تاما ، ولم تقتصر حركة
الترجمة على الآداب والعلوم ، ولكنها امتدت فتناولت شعبا
واطرافا متنوعة دقيقة ، نعم امتدت حركة الترجمة حتى شملت
الثقافة الحربية أيضا ! فهذا كتاب « أربعون يوما من عام ١٩١٤
وضعه بالانجليزية الجنرال موريس ونقله الى العربية الضابط
الفاضل محمد عبد الفتاح ابراهيم . وأول ما نلاحظه أن المغرب
ضابط في الجيش !!

ولست أشك في أن القارئ يسيء الظن . كما كنت أنا
أسيء الظن : بضباطنا جميعاً من حيث الرغبة في الاطلاع
والدرس . فنحن اذن نسجل الشناء للمغرب الفاضل مضاعفاً ،
فقد أثبت نشاطاً أو ميلا الى النشاط العلمي بين ضباطنا ، وهو

لجنة التأليف والترجمة والنشر

الحرب العالمية

موضوع من أهم الموضوعات توافر على بحثه مؤرخ عالمي شهير هو الأستاذ سيدني برادشوفين فأخرج فيه كتابه المشهور

السبب في الحرب العالمية

يشرح فيه حالة أوروبا السياسية من حرب السبعين الى فاجعة سيراخيفو، ويعالج الأسباب التي أفضت بعد تلك الفاجعة الى الحرب العالمية، فهو صفحة شائقة من التاريخ. لا غنى لطالب التاريخ الأوربي الحديث عن دراسته ولا القارئ المثقف عن استكناه خفايا الماضي القريب من بين ثناياه

عربه عن الانجليزية الأستاذ محمود الدسوقي وتولت «لجنة التأليف والترجمة والنشر» إصداره

جاء مجزئه في قرابة ٧٠٠ صفحة
وثنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

النجوم في ميسالها

تأليف

العالم العالمي السير جيمس جينز
وترجمة

الدكتور أحمد عبد السلام الكرداني

ناظر مدرسة القبة الثانوية

وصاحب المؤلفات المعروفة في الكيمياء والطيران والميكانيكا

يبسط خلاصة ما انتهى اليه العلم الحديث في الكون ونظامه وأصله ونشؤنه ومداه. ويبحث الطاقة والأشعاع والنسبية والحياة في عالمنا والعوالم الأخرى بأسلوب سهل طلي يجعلك تقرأ هذا العلم الدقيق كما تقرأ الرواية الممتعة
يحتوي على سبع وأربعين لوحة وأربع خرائط وقوائم بالمصطلحات وبأسماء النجوم باللغتين الانجليزية والعربية
طبعته اللجنة بدار الكتب المصرية على ورق صقيل في نحو ٢٦٠ صفحة وثنه ١٦ قرشاً عدا أجرة البريد

فتح العرب لمصر

تأليف الدكتور بتلر

وتعريب الأستاذ محمد فريد أبو حديد

يصف خير وصف حالة مصر من الوجهة السياسية والعلمية قبل الفتح وأثناءه وبعده
وثنه ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد

حياة نابليون

للأستاذ حسن جلال

مؤلف الثورة الفرنسية

يبحث بحثاً مستفيضاً في حياة نابليون وحروبه وآثاره
ويقع في جزئين — وثنه ٢٠ قرشاً